الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique



كلية الآدب و اللغات و الفنون
Faculté des lettres, des langues et des arts

أطروحة لنيل درجة دكتوراه الدولة في الأدب المقارن

الوجودية في الرواية العربية المعاصرة
في بلاد الشام – سهيل إدريس نموذجا

إعداد الطالب: الطيب بوشيبة

إشراف: الأستاذ الدكتور عبد الله بن حلي

اعضاء اللجنة المناقشة

أ.د احمد مسعود	رئيسا	جامعة وهران
أ.د عبد الله بن حلي	مشرفا و مقررا	جامعة وهران
أ.د عبد الوهاب ميراوي	مناقشا	جامعة وهران
أ.د محمد بلوحي	مناقشا	جامعة سيدي بلعباس
أ.د لحسن كرومي	مناقشا	جامعة بشار

2012 - 2011

بسم الله الرحمن الرحيم

إهــــــــــــداء

إلــــــــى كل من أضـــــــاء بعلمـــه عقل غيره

أو هدى بالجـــواب الصحيــــح حيرة سائليــه

فأظهر بسمـــــاحته تواضع العلمـــــاء

وبرحــــابته سماحة العارفيـــــن

كلمـــــــة شكـــــر

وأنا أزيح من على كاهلي عبئا ثقيلا , اعترف بكل تواضع باني ما أوتيت من العلم إلا قليلا.

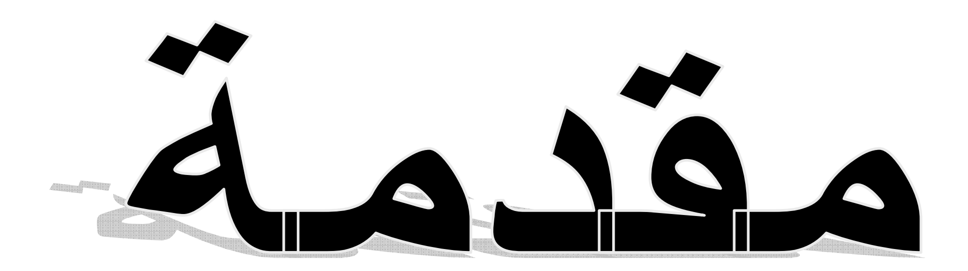
ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتوجه بأسمى عبارات التقدير و الشكر والعرفان ,

شكرا نابعا من أعماق وجداني إلى أستاذي الدكتور عبد الله بن حلي الذي يعود إليه الفضل أولا وأخرا .

إذ كان لي منذ أن تولى عملية الإشراف على الرسالة , نعم الأستاذ وخير الصديق , نصحا وإرشادا وتوجيها وتحفيزا .

أشكرك أستاذي الفاضل ومن كل أعماقي شكر الوفاء والإخلاص .

الطيب بوشيبة


مقدمة

مقدمـــــة

علاقتي بهذا الموضوع ليست وليدة اليوم , بل هي موغلة في الزمن الماضي ' وتعود إلى الثمانينات يوم قصدت مدينة بغداد من اجل إكمال الدراسات العليا . كانت بغداد يومها في حرب مع جارتها طهران .

عرضت فكرة الموضوع على أكثر من أستاذ , إلا أنهم أبدوا كلهم تحفظا بشأنه , لعدم توفر أساتذة متخصصين في مادة الأدب المقارن على مستوى الجامعة المستنصرية التي قدر لي أن انتمي إليها رفقة صديقين جزائريين آخرين . وتحت تأثير أجواء الحرب المقرفة , والحظ الذي دفعنا إلى معايشة يومياتها دفعا , ضربت عنه صفحا فلم أجد يومها هناك بيئة تساعد على السعي في هذا الاتجاه , فما آنست من نفسي قوة ,الإصرار ولا عثرت على رغبة في الاستمرار....إلخ

فعدلت عن الموضوع , ويممت وجهي شطر القرآن الكريم فوجدت في كتاب الله خير الجليس ونعم الأنيس وفي رحابه , وفي ضوء هديه, تحددت معالم رسالتي في الماجستير "أثر القرآن في الصورة الفنية لدى شعراء صدر الإسلام" .

ولما كنت بطبعي شغوفا يستهويني الوقوف لمعاينة ما خلفه الأثر من نتائج بفعل الاحتكاك مع الآخر . عاودت الاتصال بالموضوع مجددا

وترددت علي بإلحاح فكرة موضوعي القديم أو أي موضوع يعالج أثر الفكر الغربي في الأدب العربي .

فوجدت نفسي مدفوعا إليه تحت تأثير عدة عوامل أهمها : إنني امتلك رصيدا معرفيا معتبرا من فكر وأدب الغرب من خلال فرنسا وانجلترا. ذلك ما يسرت لي سبل الوصول إليه اللغة

الفرنسية التي أجيدها فهما وكتابة ومطالعة فضلا عن الانجليزية التي أعتبر حظي فيها غير ضئيل .

وقد كنت أطالع بهما معا منذ أيامي في الثانوية , كتبا وقصصا ودراسات وروايات . فما زالت عالقة في ذهني إلى يومنا هذا مقطوعات أتذوقها كلما استحضرتها ومنها "ازهار الشوك" و "La condition humainne" التي تتحدث عن الثورة الصينية وروايات jule verne (1828 – 1905) التي تزيد عن الثمانين وعادة ما تدور احداثها حول فرنسا ومستعمراتها, وتروي قصص الرحلات الكبرى والرحالة وكذلك Germinal وغيرها من الكتب التي كانت مقررة في البرنامج الدراسي الثانوي لطلبة الآداب .

في خضم هذا الجدل الدائر في رأسي استقر رأيي على أن يكون موضوع رسالتي لنيل شهادة دكتوراه الدولة : "الوجودية في الرواية العربية المعاصرة في بلاد الشام" غير انه بدا لي منذ المهلة الأولى عملا ضخما ينزع منزعا موسوعيا ويقتضي جهدا مضنيا ، فضلا عن أن الظروف التي أحاطت بنشأته في بادئ الأمر جعلت مسيرة البحث فيه تتعثر ....الخ .

فاضطررت إلى إدخال تعديلات على الموضوع انطلاقا من قناعاتي وعملا بما أوحى إلي به بعض أساتذتي الذين اجل فيهم روح التسامح وحسن النوايا وحب الخدمة ....الخ

فصار الموضوع بعد التعديل :" الوجودية في الرواية العربية المعاصرة ". وهو موضوع أدبي معاصر يعالج الرواية العربية من خلال نماذج روائية لكتاب كبار, ويعدون في الوطن العربي أكثر تأثرا بالفكر الغربي من غيرهم أو بمعنى آخر أوفرهم حظا في تلقف اثر الفكر الوجودي معاشرة بالاحتكاك المباشر , ثم استيعابا لمفاهيمه وممارسة لأساليبه في الحياة وتعريفا به ودفاعا عنه, وترجمات له .

وتجدر الاشارة الى ان المرحلة التي اعقبت الحرب العالمية الثانية قد بعثت بأسماء عديدة في هذا المجال على امتداد الوجود العربي في المشرق والمغرب على حد سواء وان كانت بلاد الشام قد اكتسبت فضل السبق فيه متبوعة بمصر قبل ان تمتد موجة التأثير الى اقطار المغرب

العربي اذ عرفت تونس والجزائر والمغرب اسماء لامعة ساهمت هي الاخرى في بلورة هذا الفكر الفلسفي وعملت على اشاعة مفاهيمه والترويج لمضامينه .

ونحن لا نؤمن في قرارة أنفسنا وعمق وجداننا بذلك المنطق الذي فرضته العقلية الاستعمارية التي عملت على ترسيخ مفهوم التجزئة في الوطن العربي , وفرضت عليه حدودا إقليمية ضيقة صارمة زائفة ومصطنعة ....الخ

يضاف إلى ذلك أن اللبنانيين فيما مضى وكما يعرف عنهم من أكثر الشعوب ميلا إلى المغامرة والانفتاح وحب الاستطلاع على الأمم والحضارات الاخرى , ولنا في أدباء المهاجر الأمريكية خير دليل على ذلك ....الخ

فهجرة السوريين واللبنانيين ترتد الى الطبع والجبلة التي ورثوها عن اجدادهم الفينيقيين الذين جابوا سواحل البحر الابيض صرة العالم المتحضر القديم اذ يقول في ذلك جورجي زيدان ويستشهد الكتاب المحدثون على اصالة هذا الأمر بما لاقوا من نجاح في المهاجر الأمريكية وفي غيرها من الأماكن التي يمموا شطرها , فقد أصاب نفر منهم من الثروة ما وضعهم في مصاف رجال المال والأعمال في "نيويورك" ذاتها .

كما يذكر جورجي زيدان أيضا بان هذا النجاح قد جعل أمر الهجرة سنة مشروعة يتواصون بها في محافلهم الأدبية والاجتماعية , ويتفاخرون بها في أدبهم وأشعارهم , مما حفز سليم سركيس أن يختص المهاجرين بباب دائم في مجلته يورد فيه أخبارهم والكثير عن أموالهم , وتاريخ حياتهم ليكونوا مثلا لغيرهم في الهجرة والمثابرة .

هو إذن موضوع وثيق الصلة بالأدب المقارن بدءا من كون الوجودية مذهبا فكريا وفلسفيا وأدبيا عالميا بل هناك من يلمس فيه حسا إنسانيا . فكان علينا أن نبحث إذا عن تجليات الفكر الغربي وصوره من خلال كتابات سهيل إدريس في ثلاثيته الشهيرة .وان بدت لنا عربية اللسان في ظاهرها إلا ان مبادئ الفكر الغربي قد استوطنت فيها تاركة بصماتها بشكل ملفت للنظر .

هو عمل إذا يستدعي المقارنة , غير أنها مقارنة تتجاوز المقابلة النصية والمواجهة الخطية وإنما هي مقارنة تضع نصب أعينها مدى تمثل الكاتب العربي للمبادئ الوجودية , أفكارا ومعان وأشكالا ومضامين وصورا وأحاسيس بل وحتى كلمات .

المهمة إذا تتمثل في القراءة وأية قراءة , قراءة أعمال الوجوديين الكبار وخاصة الفرنسيين منهم وقد اقتصرنا في هذا على كتابات سارتر النظرية والروائية و البير كامو وفرانسواز دو ساجان وناتالي ساروت وسيمون دو بوفوار غيرهم كثيرون .

فالقراءة هنا تقضي بفهم النص في لغته الأصلية (الفرنسية) قبل التحول إلى النظر إليه مستعملا وموظفا في النصوص العربية التي يشع منها الأثر .

ذلك ما قصدنا إليه في بحثنا عن سبل المؤثرات الأجنبية في الرواية العربية التي اقتصرنا في قراءتها على المعاصرة منها , تلك التي تزامن ميلادها مع أصداء الوجودية التي عرفت رواجا عقب الحرب العالمية الثانية .

ولم تكن بلاد الشام وحدها هي التي عرفت هذا اللون من الفكر الفلسفي الغربي بل تلتها مصر ايضا من خلال علم من اعلامها المعاصرين وان كان غيره كثيرون وفيلسوف كبير وكثير الاعتداد بالنفس ينظر الى نفسه على انه اكثر وجودية من سارتر الذي ارسى دعائم هذا الفكر .ذلك هو عبد الرحمن

بدوي وان لم يكن وحده وإنما شهرته غطت في هذا الافق "مصر" عما سواه , فاكتفينا به انموذجا .

ثم انتقلنا الى البحث عن الظاهرة نفسها في بلدان المغرب العربي فعثرنا على كتاب معاصرين لهم حضور مكثف في الساحة الادبية من خلال اعمالهم الروائية التي احتضنت هذا الفكر

وتبنت مفاهيمه وأسهمت في نشر مضامينه , نذكر منهم محمود المسعدي في تونس ومحمد زفزاف في المغرب وان كنا واثقين من ان غيرهم كثيرون في الجزائر وخاصة منهم كتاب الرواية باللغة الفرنسية .

ان البحث عن الأثر يستدعي الإشارة إليه وبيان طبيعته ونوعه عن طريق القراءة والاستقصاء والتحليل .

وقد ارتأينا أن نمهد لهذا العمل بمدخل حاولنا أن ندلل فيه الصعاب التي تعرقل استيعاب الوجودية بمفهومها الصحيح , ذلك لأنها تستمد أصولها من البيئة الفلسفية التي احتضنت الفكر الأدبي الغربي بكل تعقيداته.

وقد خلصنا إلى أن الفضل هنا يعود إلى مارتن هيدجر واضع اسسها ثم الى سارتر الذي يعد الأب الروحي للوجودية التي لا ينازعه فيها سواه وان كان قد التف من حوله آخرون عاشوا في ضل أفكاره : سيمون دوبوفوار والبير كامو استثناءا .

فاقتضت عملية توزيع مادة البحث سبعة فصول بحسب ما يقتضيه التطور المنطقي والترابط العضوي للعمل , فكانت على الشكل الآتي :

الفصل الأول

عرفنا فيه بسارتر , وبالظروف التي أحاطت بنشأته, ومراحل تكوينه العلمي , التي أظهرت لديه مهارات أهلته لان يكون فيلسوفا وأديبا يخوض غمار حياته بشكل ديناميكي يجهل المتتبع لسيرة حياته أين تتوقف حدود إمكانياته, وأين تمضي به مسيرة نضاله في الحياة .

بعد ذلك تعرضنا إلى الجهود التي بدلها من اجل بلورة مذهبه الفلسفي وكيف تحددت معالمه على يده, وكيف انه اخرج الفكر الوجودي من دائرة الفلسفة وتعقيداتها إلى البيئة الأدبية في

مختلف أشكالها وصورها من خلال ما خلفه من رصيد معرفي فلسفي أدبي . ثم بعد ذلك انتهى بنا المطاف الى الوقوف على أهم المبادئ التي يرتكز عليها الوجوديون في مذهبهم والتي تتمثل في الحرية والمسؤولية والالتزام .

الفصل الثاني

وقد عرفنا فيه بألبير كامو من حيث الميلاد والنشأة والبيئة التي احتضنته ثم بينا كيف انه هو الآخر يستوي علما من الفلاسفة الكبار الذين عملوا على اشاعة هذا الفكر من خلال ذلك الرصيد الضخم من مؤلفاته المشبعة بالمفاهيم الوجودية في جانبها العبثي والإلحادي .

الفصل الثالث

هو مجال خضنا فيه غمار البحث في الرواية العربية وقد اقتصرنا في ذلك على مرحلة التطور والنضج الفني الذي بلغ مداه على يد ثلة من الروائيين الكبار الذين اثرت طبيعة تكوينهم على توجهاتهم وأفكارهم نتيجة تشبعهم بالفكر الفلسفي الوجودي عندما احتضننتهم بيئة الغرب وتركت بصماتها على انتاجهم من خلال رواياتهم وسيرهم التي تعد اكبر شاهد على تلقفهم لهذا الاثر وقد اقتصرنا في هذا الجانب على المشاهير من الأدباء الذين وفروا علينا جهد البحث وعناء التنقيب باعترافاتهم الصريحة ,وإشاراتهم الواضحة التي تشيع في كتاباتهم ويستوي في ذلك كتاب المشرق والمغرب .

الفصل الرابع

عرفنا فيه بسهيل إدريس الذي احتضنته بيئة المشرق بالميلاد والنشأة وخضنا في تفاصيل سيرته الذاتية من مراحل تكوينه الأولى معرجين على ما حدث في حياته من انتقال إلى البيئة الغربية التي اكتمل فيها نضجه الفني والتي تركت بصماتها على إنتاجه الفكري ونشاطه الأدبي. فوقفنا مطولا عند ثلاثيته الشهيرة مبتدئين "بالحي اللاتيني" حيث مهدنا لذلك ببطاقة فنية للكتاب كما ارتأينا أن نثبت صورة الغلاف حرصا منا على نقل القارئ إلى أجواء الغرب من خلال المشهد الذي تظهره الصورة ثم اتبعناه بغلاف الوجه الآخر للكتاب لما يتضمنه من

آراء نقدية حول قيمة الكتاب الفنية . واتبعنا ذلك بملخص للرواية ثم انتقلنا إلى قراءة تحليلية بحثا عن الأثر الوجودي في ثناياها .

وبينا أنها تأتي في سلسلة الروايات الحضارية التي تهدف الى المقابلة بين الشرق والغرب .ثم عرجنا على المعمار الروائي مرورا بالشخصيات والمكان والأحداث وصولا إلى مكونات الخطاب الروائي تليها رواية " الخندق الغميق " التي تعتبر ثاني رواية في ثلاثية سهيل

إدريس حيث مهدنا بذلك ببطاقة فنية للكتاب يتلوها ملخص للرواية وينتهي بقراءة وجودية تهدف إلى تلمس مواطن الأثر الوجودي في ثناياها .

وختمنا هذا الفصل بالرواية الاخيرة في الثلاثية وهي رواية "أصابعنا التي تحترق" التي مهدنا لها ببطاقة فنية متبوعة بملخص ثم قراءة وجودية .

الفصل الخامس

وعرفنا فيه بعبد الرحمن بدوي الفيلسوف المصري المعاصر المثير للجدل الذي يمثل كتابه سيرة حياتي الذي يقع في جزأين قمة في التأثر بالمذهب الفلسفي الوجودي فتتبعنا من خلال قراءته اشد العبارات والكلمات دلالة على تبني هذا المذهب ودفاعه عنه بطريقة اظهرته اشد حرصا على الفكر الوجودي من جان بول سارتر نفسه .

الفصل السادس

وبحثنا فيه عن مؤثرات الفكر الفلسفي الوجودي في مؤلفات الروائي التونسي الكبير محمود المسعدي من خلال رواية "السد" التي اثارت جدلا كبيرا في اوساط الادباء والنقاد الكبار من امثال الدكتور طه حسين وغيره .

الفصل السابع

وانتقلنا فيه الى المغرب وأقمنا في حضرة القاص والروائي المعاصر محمد زفزاف فعرفنا به وبظروف نشأته وطبيعة تكوينه وخضنا رحلة البحث عن اثر الفكر الفلسفي الوجودي في عمله

الروائي من خلال نموذجين بدا لنا فيهما اثر الوجودية بينا فدرسنا الرواية الاولى وهي رواية " ارصفة وجدران " والرواية الثانية وهي رواية "المرأة والوردة" .

وأخيرا انهينا ذلك بخاتمة ضمناها ما استخلصناه من نتائج البحث وقد جاءت على شكل نقاط أو ملاحظات تقييميه .

الإشكالية

يقترح هذا البحث دراسة الأثر الوجودي في الرواية العربية المعاصرة في من خلال نماذج روائية لكتاب كبار اسهموا بقدر وافر في بلورة خطاب روائي عربي اجتمعت لديه كل مقومات الحداثة والمعاصرة والنضج على غرار ما عرفه الفكر الغربي من تطور وازدهار وتنوع في الاشكال والمضامين . فوجدنا من خلال ما تشير اليه الدراسات النقدية وتؤكده طبيعة الاعمال الادبية التي هي بين ايدينا ان الوجودية عرفت طريقها الى الرواية العربية عند كتاب اخذوا على عاتقهم مهمة ارساء دعائم هذا الفكر ووضعوا نصب اعينهم توطيد اركانه بشكل لم يدع مجالا للشك في ان اثر الفكر الفلسفي الوجودي واضح , بين ومؤكد ذلك هو ما كلفنا انفسنا جهد البحث عنه عند سهيل ادريس في بيئة الشام وعند عبد الرحمن بدوي في مصر وعند محمود المسعدي في تونس وعند محمد زفزاف في المغرب .

وهذا في نظرنا كفيل بتقديم نظرة وافية من منطلق ان الخطاب الروائي في الوطن العربي يكاد يكون في مجمله عاما لا يحد من امتداده ما قد يظهر هنا وهناك من خصوصيات اقليمية ضيقة .

لا يخفى على احد أن الرواية العربية المعاصرة في الوطن العربي عرفت تطورا كبيرا في مدة وجيزة وتعددت موضوعاتها وأشكالها ومضامينها, كما عرفت في وقت قصير أوج ازدهارها من حيث الكم والنوع .

ويستوي هذا النوع الذي يطرح نفسه بديلا لأكثر الأشكال الأدبية رواجا المرآة التي تعكس وجه مجتمع ممزق ومضطرب تحفه المخاوف ويخيم عليه اليأس وهو يتطلع إلى غد جديد وسط أفق تلفه كآبة وسواد.

فقراءة الرواية إذن من زاوية النقد الوجودي فوائدها كثيرة لأنها قراءة تعلمنا النظر إلى البشر والأشياء بنظرة ثاقبة ومتفحصة.

إن القراءات الأولية تبدي لنا ملامح التأثر بارزة وحظوظ الأدب الوجودي الأوروبي وافرة وبخاصة منها تلك التي تعكس الطابع الفرنسي فتعانق افكار سارتر وكامو وسيمون .

إن هذه الروايات تعكس هي الأخرى سعي الوجوديين العرب إلى رسم مظاهر واقعهم ,ونجدها مفعمة بالصور التي تجسد التمرد واليأس وتعكس في أعماقها أشكالا من الشك والقلق والضجر والتحرر من اسر التقاليد والقيود.

إن الوجوديين العرب يريدون هم أيضا أن يلتفتوا إلى واقعهم , ويسجلون انشغالات مجتمعاتهم , ويدعون إلى التحرر الفردي الاجتماعي والسياسي ويحفزون معالم الضجر والقلق والغثيان والوحدة والأزمات.

في الواقع اشكاليتنا تتلخص في مجموعة من التساؤلات الأساسية أهمها:

- كيف أسهم الكتاب ,المترجمون والرحالة العرب وأصحاب السير في التعريف بالوجودية وإشاعتها في بيئاتهم وأوطانهم بين أهلهم وذويهم ؟

- ما هي المواضيع والتدابير "الوجودية" التي وظفها الروائيون العرب في كتاباتهم، والى أي مدى نجحوا في استغلالها وتوظيفها ؟

- كيف يمكن دراسة هذه المؤثرات بشكل أدق ؟ أو بمعنى آخر كيف يمكن تقديم دليل إثبات الأثر إن كان مباشرا أو غير مباشر ؟

- ما هو الثراء الذي وجده الكتاب العرب في هذه الوجودية ؟ والى أي مدى وفق هؤلاء في استغلال مجمل مصادرها في مختلف اشكالها واتجاهاتها ؟

- كيف نفسر استغلال بعض الوجوديين العرب للوجودية بطريقة عاطفية أكثر منها فكرية ؟

المنهجيـــــــة

تتحدد نقطة الانطلاق هاهنا بشكل دقيق , فتتمثل في أعمال الكتاب الوجوديين الكبار وخاصة الفرنسيين منهم الذين يعود إليهم فضل نشر هذا الفكر على شكل أجناس أدبية متعددة : مسرحيات ,قصص وروايات, وأعمال نظرية ودراسات تهدف إلى نشر الفكر الوجودي وإثراء مجاله المعرفي .

الأمر إذن يتعلق بمجموعة من الكتاب الوجوديين الذين شكلت اعمالهم مرجعيات ثرية تنوعت مصادرها وتعددت مستوياتها فكان منها النظري والتطبيقي وما هو على شكل دراسات نقدية وأعمال ابداعية.

فسعينا في هذا الاتجاه في البداية ولما وجدناه عملا شاقا يتطلب جهدا مضنيا ارتأينا حصره في "جان بول سارتر" كبيرهم الذي علمهم فلسفة الوجود وأوحى إليهم بالتفكير والسلوك من منطلقاته وأضفنا اليه البير كامو وسيمون دو بوفوار .

أما المتلقي فيتمثل في الروائيين العرب المعاصرين الذين يعود إليهم الفضل في التعريف بهذا الفكر والعمل على ترجمته ونشره والاعتراف الواضح الصريح بالأخذ منه ,وتبني افكاره والدفاع عنها, ولا بد من الإشارة إلى ا ن الأهم هنا هو التمييز بين النشر والتقليد والنجاح في التلقي والتأثير إلى الحد الذي يصبح فيه من يتلقف الأثر مصدرا آخر يساهم في بعثه إلى الآخرين .

ومعروف إن دراسة النشر والتقليد والنجاح لمجموعة كبيرة من الأعمال أمر يقتضي الصبر ويتطلب المنهجية ولذلك آثرنا حصره عند سهيل إدريس في ثلاثيته التي تعج بالصور والأفكار الوجودية إلى الحد الذي جعلته في نظر بعض الدارسين والنقاد ابعد الوجوديين تأثرا وأعلاهم صوتا في بلاد الشام .

ثم انتقلنا منها الى مصر فوقفنا عند كاتب آخر تعداه في نظرنا من حيث الاستعداد والرغبة والحماسة في تبني الفكر الفلسفي الوجودي الى الحد الذي رأى نفسه فيه اكثر وجودية من سارتر نفسه . ذلك هو عبد الرحمن بدوي الفيلسوف العربي المعاصر الذي كرس حياته للدفاع عن هذا الفكر وتمجيده والترويج له, بل والدعوة الى تأسيس وجودية خاصة بالوطن العربي .

انتقلنا بعد ذلك الى تونس فاستوقفتنا اعمال الدكتور محمود المسعدي الذي تشهد اعماله هو الآخر على تلقفه لأثر الفكر الفلسفي الوجودي وبحثنا عن السر الذي يقف خلف اسلام الوجودية على يديه كما يشير الى ذلك بعض النقاد من معاصريه .

وفي نهاية المطاف قادتنا رحلة البحث عن هذا اللون من الادب وهذا الجنس من التصوير الى بلاد المغرب فصادفنا هناك كاتبا روائيا آخر من المعاصرين لا تقل اعماله حدة في التاثر بالفكر الفلسفي الوجودي فجاءت مترجمة لأفكار سارتر مصورة لها بشكل يدل دلالة واضحة على انه من اشد المتحمسين السالكين لهذا السبيل , ذلك هو محمد زفزاف الحاضرة اعماله بشكل مكثف في عالم معاصريه من كتاب الرواية ذات البعد الفكري الفلسفي .

إن تحديد موضوع الأثر وتبيين نوعه عملية ليست بالسهلة , لتعدد أنواع هذا الأخير,إذ نجد منه التقني الذي يقف عند حدود الأشكال والفكري الذي يمتد إلى عمق المضامين , والسطحي الذي لا يتجاوز الاندفاع الآني او التعاطف المرحلي .....الخ

فمنهجنا يقتضي إذن أن نتتبع بالصبر والتأني قدر اتجاه أصله معروف في الرواية العربية المعاصرة . فنشير إلى موضع الأثر ونحاول تحديد نوعه وتبيين طبيعته من حيث الغوص في العمق او الوقوف عند حدود الشكل ...الخ

إن الأمر يتطلب تحليلا دقيقا بمنهج نقدي وتاريخي صارم وبمقارنة تستدعي توغلا سيكولوجيا حقيقيا في اعمال كوكبة من الروائيين العرب المعاصرين الذين يمثلون بشكل قطعي طبيعة النسج على منوال الوجوديين .


مدخل

الوجـودية من النظرة الفلسفيـة إلى الواقـــع الأدبـــي

1)نشأتهـــــا

2) موضوعاتهــا

3) أهدافــهـــــا

4) أعلامهـــــا

ان الوعي اللغوي في عصرنا آخد في ازدياد مستمر، وان اهتمام هذا العصر بوسائل الاتصال بين الناس مشوب بشيء من الشك ،ومشوب بشيء من القلق ايضا.ومن ذلك ما يستحوذ على عقل الكتاب والمفكرين حول اللغة من اسئلة اهمها : هل اللغة وسيلة واضحة يمكن الاعتماد عليها في اتصال الناس بعضهم ببعض ؟ وكيف نتاكد من ان السامع او ملايين السامعين قد وعوا قصد المتكلم ،وما رغب في توصيله اليهم؟ .ونحن نؤمن ان اللغة في حد ذاتها تفرض حجابا بيننا وبين الاشياء التي نتحدث عنها.وهي تمنح هذه الاشياء ذاتها نوعا مزيفا من الحقيقة فتغرينا بان نعتقد اعتقادا ضمنيا بوجود حقيقي للامور المعنوية الموغلة في التجريد كالوجودية ،وكل تلك المعاني الفائقة الحصر التي تدل عليها الالفاظ المنتهية باللاحقة isme.(1)

أليست اللغة تغرينا بهذا الاعتقاد لمجرد ان لدينا كلمات موجودة بالفعل للدلالة على هذه المعاني ؟ ذلك شان من شؤون الوجودية يعترض سبيل الباحث في تحديد مفاهيم المصطلح المتشعبة المجردة والمعقدة .

---

(1) ومن أمثلة هذه الألفاظ التي تدل علي هذه المعاني : realisme واقعية capitalisme- راسمالية- comminisme شيوعيةsymbolismeرمزية ......الخ

*** وانظر أيضا تأليف ستيفن اولمان "دور الكلمة في اللغة" ترجمة د/ كمال محمد بشير , المقدمة .**

تعتبر الوجودية من احدث المذاهب الفلسفية ومن أقدمها في الوقت ذاته وهي تعبر بصدق عن حالة الشعور الحاد بالقلق الذي ساد وعم البشرية في مختلف أرجاء المعمورة عقب أحداث الحرب العالمية الأولى والثانية.(1)

فقد كان لهذين الحادثين اثرهما البالغ في اشعار الانسانية بالمعاني الكبرى التي تؤلف نسيج وجودها ، وفي وضعها بصورة كلية امام اكبر مصدر من مصادر قلقها وهو الفناء الشامل الذي يهدد الشعوب باسرها .وقد استغرق الشعور بالماساة احساس كل فرد من افرادها.

وتعد من أقدم المذاهب الفلسفية لانها فلسفة تحيا الوجود.اذ يحياها صاحبها في تجاربه وصراعه مع الوجود في العالم.وهي ليست مجرد تفكير فيه او نظر الى الحياة من خارجها او الى الوجود في موضوعه.وهي فلسفة جذورها ضاربة في عمق التاريخ منذ اقدم العصور عند اولئك اللذين تجسدت تجاربهم الحية في معاني فلسفية وخاصة منهم:برمنيدس وسوقراط وافلاطون وافلوطين ومنهم :السهروردي والحلاج في العصر الوسيط، ومنهم في العصور الاوروبية الوسطى:القديس اوغستين وباسكال في بداية العصر الحديث.الا ان نظرات هؤلاء لم تجتمع لديها مقومات تيار فكري واضح او مذهب فلسفي متكامل.

لقد اكتمل صرح الفلسفة النظرية فبلغت اوج بنيانها على يد هيجل (ت1831) الا ان بناءه الفلسفي الشامخ كان عقليا كله. ذلك انه يصدر عن مفاهيم وتصورات عقلية مجردة، وان كان يضبطها منطق محكم يعرف بالديالكتيك ،

---

(1) انظر د/ محمد مندور "الأدب ومذاهبه" ,ص/138- 139

وتسوده الروح المطلقة الكلية من غير تأثر بلحظات الزمان والواقع(كل ما هو موجود عقلي وكل ما هو عقلي موجود)

وما الأفراد إلا أدوات في يد الروح المطلقة . والملاحظ ان هذا البناء قد ساده روح تفاؤل شامل و طبعه اتزان منقطع النظير، فلم يكترث لما يكابده الانسان من معاناة وما يمزقه من قلق واسى وما يهدده من موت وعدم.

وانطلاقا من هذه المعاينة ثار كيركجور في وجه هيغل قائلا :" لا يمكن أن يكون ثمة مذهب في الوجود" لأن المذهب يستوي حائلا بين الفيلسوف و الموجودات : " و الفلسفة ليست أقوالا خيالية لموجودات خيالية. بل الخطاب فيها موجه إلي كائنات موجودة ".

ولذا فالفلسفة الحقة ليست بحثا في المعايير الموجزة بل هي في المعاني التي ينظر اليها بوصفها موضوعات يعانيها و يعاينها الموجود نفسه. وهي التي ينبغي ان تكون العامل في ايجاد الفلسفة.فلسفة الذات الموجودة او الذات الوجودية. وهذا يقضي الي توكيد الفرد في مقابل المعني الكلي.والفرد الذي هو بذاته عالم بكل امكانياته في مقابل الغير الذين هم في الواقع جحيم بالنسبة إليه.

فلا معني اذن و الحالة هذه للروح المطلقة. وما لديها من كليات مجرد فرضيات خاوية و مجردة من كل معني واقعي فعلي.

ومن اخص خصائص هذه الذات المفردة الاختيار بين ما تنطوي عليه من ممكنات وما تسطيع تحقيقه الا ان الاختيار يقتضي حتما توفير شرط الحرية.

فلا اختيار حيث لاحرية والاختيار يجر بالضرورة الي المسؤولية.

ولكن لماذا يضطر الانسان للاختيار ؟

لأنه لابد أن يفعل لتأكيد معنى وجوده وبغيره لا وجود للفرد.

وهو ان فعل فحتما لا يستطيع ان يفعل كل اممكنات .بل لابد ان يختار وجها من وجوهها الممكنة.علي الرغم من قناعته بان هذا الاختيار هو نبذ واقصاء لامكانيات اخرى متاحة امام الفرد. ولهذا فالاختيار ينطوي على مخاطرة لان المرء يجازف باختياره وجها أو وجهين من وجوه الممكنات المتعددة.

ومن هنا يتولد نوع من العدم داخل نسيج الذات تجسده هذه الامكانيات التي لم تحقق رغم امكانية تحقيقها. ولهذا يقول كيركجور : ان الاختيار يجر الي الخطيئة ، والي المخاطرة التي تؤدي بطبعها الي القلق وهو قلق ذووجهين، قلق من، وقلق على : وهو ما يشبه الدوار الذي يصاب به المرء حينما ينظر في هاوية.فمن يوجه بصره الى هاوية ياخذه الدوار، و لكن العلة ليست في الهاوية بقدر ماهي في البصر و عملية النظر. ولهذا وضع كيركجور الاسس الاولى للوجودية. فالإنسان بوصفه الذات المفردة(1)، هو مركز البحث، وأحواله الوجودية الكبرى مثل : الموت و الخطيئة، والقلق و المخاطرة ....الخ هي المقومات الجوهرية لوجوده.

والحرية و المسؤولية و الاختيار هي المعاني الكبرى في حياته وهذه الاسس هي نفسها التي اقام عليها هيدجر ثم يسبرس بناء الوجودية متأثرين بمذهب الظاهريات phénoménologie على وجه الخصوص الذي وضعه "هسرل" (المولود ب 1938) وهو منهج أكثر منه مذهبا سعى من وراءه إلى رفع الفلسفة الى مصاف العلوم الدقيقة فأصبحت بحثا في المعاني و الماهيات الخالصة، ومجالها الشعور الخالص المطلق الذي يمكن البحث فيه عن الأصول الأولية لكل الظواهر .

(1) الذاتية والفردية تفيدان نفس المعنى والفردية تقابلها باللغة الفرنسية كلمة singularité وترادفها في المعنى الذاتية التي تقابلها individualité

فظاهرة اللون أو الصوت أو غيرهما لهما في الشعور الخالص ماهية أصيلة.

و التركيب الرئيسي في الشعور هو " الاحالة " فكل ظاهرة تحيل الى شيء و فيها معنى شيء.

و الهدف الاول لمذهب الظاهريات هو استعادة حقيقة الموضوع الذي للظواهر بدلا من ارجاعها او حلها الى ظواهر نفسية كما فعل علم النفس في اواخر القرن الماضي . انطلاقا من هذا المنهج الفينومينولوجي و اعتمادا عليه اقام هيدجر الفيلسوف الالماني (1889) فلسفته :

وهي فلسفة مبنية على تحليل الوجود العيني المفرد. والسؤال الاكبر الذي يطرح نفسه بالحاح هو : لماذا ثمة وجود وليس عدم؟ وليست المسالة بحثا عن الوجود بما هو وجود ، بل عن السائل الموجود نفسه . فان حلل السائل نفسه،ووجوده، وجد ان الصفة الرئيسية الملازمة له هي مجرد وجوده، فهو موجود اولا ثم يتعين بعد ذلك بكذا و كذا من الصفات والاحوال. وانطلاقا من هذا: فالوجود إذا اسبق من الماهية. L’existence précède l’essence وهذه هي أم القضايا الأساسية العظمى في فكر الوجودية كله.

ان الوجود سابق على الماهية ، والصفة التي تتلو ذلك هي ان الوجود هو اولا وجودي انا السائل وليس هذا الوجود حالة او جزئية تنتسب الي وجود كلي هو الوجود المطلق، بل الوجود في جوهره واصله هو وجودي انا. انا الذات المفردة و لهذا يجب ان يبدا البحث منه. وعلينا اذا ان نبحث في " هذا الوجود" او باصطلاح اخر في " الانية" او الوجود المتحقق العيني. واول ما تتصف به الآنية هو الوجود في العالم أي وجود الذات في عالم ليس اياها.وهذا العالم يبدو لها مجموعة من الأدوات تستخدمها الذات في تحقيقها لإمكانياتها. فلا وجود للأشياء إلا بوصفها أدوات بطبعها تحيل إلي غيرها . فالإبرة تحيل إلى الخيط والى الثوب والى الرقعة ...الخ .

ولهذا فان العالم يتصف بصفة الاداة :ويجرنا هذا الى القول بأن الآنية هي " وجود في" أي ان من صفاتها الجوهرية أنها محاطة أو في حالة تعين مع الغير. فليس ثمة ذات مفردة معطاة وحدها.بل كل ذات تفرض بطبعها الغير الذي تساكنه ،وتوجد معه.وهذا الغير يستولي على وجود الذات بما يفرضه عليها من اوضاع واحوال حتى لينتهي الامر الى ان تذوب "الذات" في "الغير" او في "الناس" فلا تفكر الذات الا فيما يفكر الناس ولا تفعل الا كما يفعل الناس ،ولا يشعر الا كما يشعرون.وهذا يفضى الى ما يسميه هيدجر "بالسقوط"والسقوط ضروري لانه لا سبيل الى التخل من الناس ولا وسيلة للفعل الا في اطار "الوجود مع" الناس.وفي هذا الوجود "الزائف" للذات

تفتقد وجودها الحق على انها تلجا الى هذا الوجود الزائف فرارا من الاحوال الوجودية الحقيقة التي تواجهها اذا ما ابصرتها،مثل الموت اذ تبصر الذات ان وجودها "وجود للموت"و"وجود للعدم".ففي تجربة الموت تشعر الذات بكل معاني وجودها بانها مفردة لان الفرد يموت وحده. ولا يمكن أن يحمل عنه غيره عبء الموت،أو ينوب عنه فيه،ومن هنا تدرك الذات انها مفردة وحيدة مع مسؤولياتها الهائلة،وتدرك ثانيا بانها للفناء يحاصرها من كل جانب.ولهذا كان العدم عنصرا جوهريا اصيلا في تركيب الوجود.فكل وجود هو وجود لفناء،ووجود لعدم. وفي اتجاه يختلف عن هيدجر اختلافا محسوسا،سار كارل يسبرس الفيلسوف الالماني الذي ولد سنة (1883)فهو اكثر ارتباطا بكيركجر،واشد تاثرا بالنزعات اللامعقولة ويمتاز بالتحليلات الجزئية لظاهريات الوجود،وبغزارة إنتاجه وتشعبه، وابرز تحليلاته ما كتبه عن "المواقف الحدية situations extrêmes وهي المواقف النهائية التي يوجد فيها الانسان ولا يستطيع منها خلاصا ولا فرارا، انها بمثابة جدار نصطدم به في أي اتجاه اتجهنا.

ومن هذه المواقف:إن الإنسان ينتمي إلى نوع جنسي معين "ذكر او انثى"،والى عصر معين ولد فيه،والى والدين انجباه، والى وطن ولد فيه ،والى شعب ينتمي اليه ،ودين نشا عليه الخ. وهده المواقف لايمكن المرء ان ينظر اليها نظر المتفرج لانه غارق بجدوره فيها،على ان الموقف الرئيس بين هذه المواقف الحدية او النهائية كلها هو الموت. وهو موقف يطبع بطابع النسبة كل ما افعله،ولابد ان اكيف اعمالي وفقا له . ويتلوه موقف الالم الذي يقف من خلفه الموت ولا سبيل للخلاص منه ايضا،وكل محاولة للقضاء عليه هي نصر جزئي موقوت،والموت والالم يتم بلا مشاركة فعالة من جانبي.ولكن ثمة مواقف نهائية او حدية فيها مشاركة من جانبي،مثل الكفاح والخطيئة . وكلاهما ضروري ولا مفر منه ايضا شان كل موقف نهائي.والخلاصة العامة لتحليل هذه المواقف هي ان الوجود مشكل بطبعه.ولهذا ينتهي كل شيئ الى الغرق على حد تعبير يسبرز. والى جانب هذه الفلسفة الوجودية نشا ما يسمى بالادب الوجودي.ويمثله في اجلى صوره كل من جابرييل مارسل وجان بول سارتر.وكلاهما فرنسي على ان مارسل يسير في اتجاه مضاد لاتجاه سارتر.فهو ذونزعة دينية اما سارتر فهو في معزل عن كل شعور ديني.ولكنهما يتفقان من حيث انهما شاركا في الوجودية بادبهما المسرحي الذي نشر الوجودية في اوساط عامة الناس.

ولكنه اساء اليها ايما اساءة في انه جعل الناس او بعضا منهم يسيء فهمها اساءة مقصودة أحيانا وغير مقصودة في معظم الأحيان.

ويرى الدارسون ان لمارسال الذي ولد سنة (1889) فضلا بارزا في تحليلاته الفلسفية الدقيقة خصوصا في كتابه "يوميات ميتا فيزيقية".وفي عنايته بمسالة الملك والوجود،وتمييزه بين كليهما ورفعه الوجود فوق الملك.

ولسارتر فضل التعبير عن فلسفة هيدجر الغامضة بعبارة فرنسية واضحة ومتميزة اتاحت لها الذيوع والانتشار في الاوساط غير الفلسفية.وله ايضا فضل الربط بين الوجودية وبين الالتزام في معركة الحياة الفعلية السياسية وغير السياسية وفضل توكيد او استخلاص بعض جوانب الفلسفة الوجودية عند هيدجر،وابرازها في تحليلات دقيقة وعميقة او في صور مسرحية شديدة التاثير.واهم هذه الجوانب :النظرة والغير والالتزام النزعة الانسانية في الوجودية والمشاركة الفعالة في تيار الحياة العامة بالتزام الوقوف منها موقفا فعالا.(1)

ونخلص من هنا الى ان فلافسة الوجود قد جعلوا الفلسفة ملازمة للحياة،معانقة للوجود،باطنة في صميم فعلي الكينونة.وقد اكتسب التفكير الفلسفي اهمية حيوية على يد الوجوديين،فاصبحت الفلسفة عندهم بمثابة الجواب الذي يقدمه الموجود البشري لما توجهه له الحياة من اسئلة .

ومن اسباب هذا التفكير و دواعيه ان انسان المجتمع الغربي قد عاصر منذ مطلع القرن العشرين ازمات حضارية حادة كانت تستدعي تغييرا جوهريا في اسلوب حياته.

فكان لابد أن يعيد.الفلاسفة الغربيون النظر فيما بين أيديهم من حلول وهكذا ظهرت فلسفة الوجود لمواجهة نوعين من المشكلات : مشكلات تتعلق بالأزمات والحروب و الثورات التي سادت النصف الأول من القرن العشرين،ومشكلات أخرى تتعلق بالقدرات الاختراعات التي حققها الإنسان بتقدم العلم الحديث.

---

(1) انظر عبد الرحمن بدوي "دراسات في الوجودية"، ص1-20

ط 1973 دار الثقافة بيروت لبنان.

فلم تعد المشكلة الفلسفية الكبرى بالنسبة للانسان هي مشكلة وجوده الشخصي كما كان الحال بالنسبة إلى بعض شخصيات دوستويفسكي الروائية،بل اصبحت المشكلة الكبرى مشكلة الانسانية باسرها.

وقد اصبحت هذه الانسانية انطلاقا من واقعها تعلم ان بقائها على قيد الحياة ليس لمجرد صدفة،بل لانها قد اتخذت قرارها والت على نفسها ان تظل على قيد الحياة،تعيش في مسرح الوجود.

"ثمة جنس بشري على حد تعبير جان بول سارتر بل هناك انسانية اخذت على عاتقها مسؤولية الحراسة على القنبلة الذرية وهي وحدها ملزمة بمسؤولية حياتها او موتها،وجودها اوعدمها".وهذا ما دفع سارتر الى القول:ان الجماعة البشرية هي بلا شك فوق مستوى المملكة الطبيعية وهو يعني بذلك انه اصبح لزاما على الانسانية في كل لحظة، بل في كل دقيقة ان ترتضي الحياة و توافق على الاستمرار في البقاء. وهذه الحقيقة التي يشعرها انسان القرن العشرين في خوف و قلق انما هي يعنيها مشكلة الفيلسوف الوجودي. وهكذا نخلص الى القول مع سارتربان مشكلة الفلسفة اليوم اصبحت هي مشكلة الوجود الانساني نفسه مادام وجود الانسان قد اصبح يتوقف على قراره الشخصي.

ان وجودية سارتر هي في صميمها فلسفة تؤكد بكل قوة ما للتجربة الانسانية من طابع ذاتي، جزئي، درامي تاريخي زماني.

ومهمة الفلسفة عند الفلاسفة الوجوديين انما تنحصر في تحرير الانسان مما هو متصور عقليا من اجل وضعه وجها لوجه امام وجوده الخاص بوصفه كائنا حرا يتوقف مصيره على قراره الشخصي.(1)

(1) انظر مشكلات فلسفية لزكريا تامر ج4 ص130

يعد سارتر أفضل الفلاسفة الذين ارسوا دعائم صرح الوجودية. لهذا تقترن الوجودية عادة في أذهان الناس باسم هذا الفيلسوف الفرنسي والكاتب القصصي والمسرحي والناقد الفرنسي جان بول سارتر الذي ولد سنة (1905).ويعود سبب هذا الاقتران إلى انه قد أذاع هذه الفلسفة في أوساط الناس بعد أن كانت مقصورة عند روادها الأوائل على أهل الفلسفة من ذوي الاختصاص.وسبب هذا الذيوع انه أديب وناقد مسرحي ممتاز و انه قد شارك في الحياة العامة و اشترك في شؤونها السياسية بشكل عملي و فعال.فذاع صيته و تردد ذكره في كثير من المناسبات.وقد تم له ذلك بفضل أسلوبه الواضح و قلمه اللاذع و خصومته العنيفة العنيدة .فهو ميال إلى الجدال وله حضور مكثف في حركة النضال. و هذه العوامل قد أسهمت جميعها في منحه الشهرة و تضافرت على تمكينه من فرضها على الناس فرضا.وهو زيادة على هذا يعد أشجع الفلاسفة الوجوديين من حيث استخلاص النتائج الفكرية التي تمس معتقدات الناس. فهو صاحب نظرات ثاقبة(1). و عبارات ملتهبة و متحدية في اغلب الأحيان وقد هيا له جو فرنسا عقب أحداث الحرب العالمية الثانية إشعال النار الكامنة في ذاته الوجودية هذا وان كان بعض الدارسين يذهبون إلى أن فضل سارتر في تكوين المذهب الفلسفي الوجودي ضئيل بالقياس إلى ما ناله من نصيب الشهرة الوافر.

(1) نظرات ثاقبة تقابلها باللغة الفرنسية عبارة regard perçant وهي عبارة كثيرة التداول على السنة الوجوديين.

وان كان الفضل يعود الى هيدجر في ارساء دعائم الفلسفة الوجودية، الا ان اسلوبه ولغته الغامضة و فكره الحلزوني العميق، وتلاعبه باللغة الفلسفية و اشتقاقاتها وايغاله في التحليل الانطلوجي الدقيق. كل هذا شكل صعوبة و استوى عائقا حتى على ذوي الاختصاص.
والواقع ان سارتر الذي اوضح جوانب كثيرة من وجودية هيدجر، قد اضاف اليها كثيرا من النظرات الثاقبة التي تفوق فيها حتى على هيدجر، وخاصة في التحليل الفينومينولوجي analyse phenomenologie لكثير من المعاني الوجودية الكبرى.
ومن هنا يعد صاحب اصالة وفضل كبير في اكمال بناء المذهب الوجودي.
لقد وضع سارتر للوجودية مبدئا رئيسيا وهو القول بان:"الوجود يسبق الماهية " l'existence précède l'essence وهذه العبارة لم يلاحظ استعمالها عند هيدجر و غيره من فلاسفة المذهب الوجودي. وقد كان المبدا المضاد هو السائد قبله وهو ان "الماهية تسبق الوجود"
وهي عبارة مفادها ان العالم قبل ان يوجد كانت صورته او فكرته في عقل الله. فقبل ان يوجد شيء تسبق وجوده فكرة تدور في عقل. صانعه،ومكن هنا كان يقال ان ثمة طبيعة للانسان وهذه الطبيعة الانسانية:وهي التصور الانساني توجد عند جميع الناس، أي ان كل فرد من الناس هو مثال جزئي لتصور كلي هو الانسان .
إن وجودية سارتر ترفض هذا الراي و تقول:"ان الوجود يسبق الماهية" فالانسان يوجد اولا، وينبثق في العالم،ثم يتحدد من بعد.
فالإنسان في أول وجوده ليس شيئا ولا يمكن أن يحد بحد وعلى ذلك فليس ثمة طبيعة إنسانية، بل الإنسان كما يتصور نفسه ، وكما يريد نفسه و كما يدرك نفسه بعد ان يوجد.
و كما شاء هو بعد وثبته نحو الوجود.فهو يوجد غير محدد بصفة، ثم يلتقي بنفسه في المستقبل، ويشعر بذلك وبالافعال التي يؤديها، ولهذا فان الانسان هو اولا مشروع وتصميم يحيا حياة ذاتية، ولا شيء يوجد قبل هذا المشروع، بل الانسان هو الذي يصمم مستقبله،ثم يحقق من هذا التصميم ما يستطيع.ومادام الانسان مشروعا وتصميما يضعه لنفسه ، فانه بالضرورة مسؤول عما يكون عليه. وكل انسان يحمل المسؤولية الكاملة عن وجوده. ولاتقتصر هذه المسؤولية عليه وحده ،بوصفه فردا،بل تتعداه الى الناس جميعا ،لان القرار الذي يتخده لنفسه يلزم سائر الناس.فالانسان حينما يختار لنفسه فهو في الوقت ذاته يختار لسائر الناس،

ذلك لانه باختياره هذا يرسم الانسان كما يريده ان يكون اذ ان اختياره لهذا او ذاك توكيد في الوقت نفسه لقيمة ما يختاره لان الانسان لا يختار الا ما يعتقد انه خير ويتفادى اختيار ما يعتقد انه شر.وهو في كلتا الحالتين يختار لنفسه وللاخرين وبالتالي فهم ملزمون بهذا الاختيار.ومن هنا فمسؤوليتنا اكبر بكثير مما نظن :لانها تلزم الانسانية كلها.وحتى الافعال الشخصية كالزواج مثلا تلزم سائر الناس، وان كان هذا الامر متعلقا بحالتي الشخصية.وكذلك الشان بالنسبة للميول والرغبات والاهواء والملذات والشهوات.فان هذا الاختيار نفسه يلزم الناس جميعا.وعليه فانا مسؤول قبل نفسي وقبل الناس جميعا في ان واحد.

إن هذه المسؤولية البالغة الهائلة التي تمس الناس جميعا لابد ان تثير في الانسان قلقا بالغا هائلا.

ان القرار الذي يتخذه الانسان،وان بدا له في الظاهر شخصيا،انما هو قرار يمس جميع البشر وفقا لما يترتب عليه من تبعات وقد يتحول الى مصدر يغدي النفس باليأس والقلق والانزعاج .

ومحاولة الفرار من هذا القلق ماهي الا شبيهة . بقناع يسد له الانسان محاولة منه لاقناع نفسه وغيره،ولكنها لن تستر الحقيقة الرهيبة الكبرى.وهي ان المسؤولية هنا مسؤولية كلية.

وللقول بان الوجود يسبق الماهية نتيجة ثانية وهي الحرية.اذ مادام الانسان في بدء وجوده ليس شيئا، وما دام هو الذي يصمم نفسه،فهو لا بد حر بل هو الحرية نفسها.فنحن اذن وحدنا مع هذه الحرية ولاعذر معها ولاتبرير ولا فرار.فبهذه الحرية يخلق الانسان نفسه بنفسه.

ونتيجة لكل ما سبق يعد تمجيد العقل من المباديء الرئيسية لهذا المذهب.اذ لم ليس ثمة حقيقة واقعية الا في الفعل.والانسان لايوجد الا بقدر ما يحقق نفسه،انه ليس شيئا آخر غير مجموع افعاله والعبقري نفسه ليس الا ما يعبر به عن نفسه في اعماله الفنيه او العلمية ،وعدا هذا فليس ثمة شيئا آخر.

و إذا كان الأمر هكذا فليست الوجودية.كما يدعي بعضهم فلسفة استسلام ما دامت تمجد الفعل،ولاهي فلسفة تشاؤمية بل ليس ثمة مذهبا يضاهيها تفاؤلا،كيف لا ومصير الانسان بين يديه؟

فالوجودية هي النظرة الوحيدة التي تعطي للانسان كرامته،لانها لا تجعل منه وسيلة،اوموضوعا في حين نجد المادية مثلا:تعامل الانسان على انه موضوع.

وليست الذاتية التي تقول بها الوجودية ذاتية فردية بالضرورة،لان ادراك وجود الذات ينطوي في الوقت نفسه على ادراك وجود الغير،فالذي يكشف عن وجوده انما يكشف في الوقت نفسه عن وجود غيره،بل ان وجود الغير شرط لوجوده الذاتي،وانه ليس شيئا إلا إذا اعترف له الآخرون بأنه شيء،فالغير ضروري لوجودي ،كما انه ضروري للمعرفة التي لدي عن نفسي .

وعلى هذا فان اكتشافي لذاتي يكشف لي في الوقت نفسه عن الغير بوصفه حرية موضوعة في مواجهتي.ولا يفكر ولا يريد الا من اجلي او ضدي وهذا ما يفضي بنا الى عالم نسميه (مابين الذوات inter-subjectivite) .

وفي هذا العالم يقرر الانسان ماذا يكون هو وماذا يكون الآخرون.

والصلة بين الذوات نقطة هامة في مذهب سارتر.فالغير هو اولا انسان وليس شيئا.والانسان كائن تنتظم حوله الاشياء التي في العالم.فهذا الانسان الآخر ينظر إلي،وفي إمكانية أن ينظر إلي باستمرار إمكانية أن أكون بالنسبة إليه موضوعا فأصبح "موجودا للغير".

ونظرة الغير الي تفضي بان تجعلني اعلو على علوي أي تستلب مني العالم الذي انظمه.واذن كل ما انا عليه يتحجر تحت نظرة الاخر.فالغير بوصفه نظرة هو علو فوق علوي.ومن هنا ينشا جزعي وقلقي على نفسي،اذ اشعر تلقائيا ولفوري ان إمكانياتي مهددة من جانب الغير،اذ انه بنظره الي يشلني وأنا بنظري أليه أشله بدوري .ومن هنا قال سارتر في مسرحية الجلسة السرية(Huis-clos)"ان الجحيم هو الغير".« l’enfer c’est les autres » (1)

Huis clos , Sartre ,p/75 ,livre de poche éditions Gallimard 1947 (1)

الفصل الأول

جان بول سارتر

jean Paul Sartre

(1980 – 1905)

ولد جان ,بول ,شارل ,ايمار ,سارتر في باريس 16 سنة 1905 وبعد سنة توفي والده جان باتيست سارتر فتولاه جده لامه شارل شويتزر وفي ذلك يقول سارتر (ظل وحيدا بين عجوز وامرأتين (1) . وفي السادسة من عمره دخل سارتر إلى المدرسة الابتدائية حيث كتب قصصه الأولى سنة 1913 "بائع الموز" , "إلى فراشة" ووجه رسالة إلى كورتلين..Courteline

وعندما دخل إلى الصف السادس في مدرسة هنري الرابع تزوجت أمه ثانية من مهندس في البحرية يدعى مانسي.....Mancy

وفي 1923 أنهى دراسته الثانوية والتحق في العام الموالي بدار المعلمين العليا رفقة نيزان.Paul Yves Nizan وريمون ارون...Raymond.Aron

وكتب أول رواية له نكسة...Une défaite سنة 1927 وقد رفضت دار غاليمار.. Gallimard نشرها . وعاش في العام الموالي أي سنة 1928 نكسة على اثر سقوطه في التبريز... .L’agrégation

---

(1) - jean Paul Sartre -Les mots- p/35 وفيه يروي أحداث طفولته ويشرح كيف انه اكتشف الوجود (وجوده) عبر الكتب والكلمات /الكتاب نفسه ص/35

وفي سنة 1929 تعرف إلى سيمون دو بوفوار...Simone de Beauvoir

وفاز في شهادة الفلسفة بالمرتبة الأولى وفازت سيمون بالمرتبة الثانية ثم أدى الخدمة العسكرية في سان سامغوريون وعمل أستاذا للفلسفة في الهاثر وأدى دور بوفيل في الغثيان..La Nausée.ثم حصل "جان بول سارتر" على منحة المعهد الفرنسي في برلين حيث درس كير كيجورد , هيدجر ,هوسل وهيجل واكتشف الظواهرية... La Phénoménologie

تعرض على أثرها سنة 1935 لانهيار عصبي حاد رافقته أعراض هلوسة .

ونشر له 1938-1939-1940 على التوالي كتاب الغثيان وتلاه كتاب الجدار.. . Le Mur الذي نال عليه جائزة الرواية الشعبوية ثم اسر في الجبهة وأطلق سراحه وهناك تعلم ضرورة الالتزام.

وفي سنة 1941 انشأ مع مرلوبونتي , بوست ,بويون وسيمون دوبوفوار مجموعة المقاومة الثقافية..La Resistance Culturelle."الاشتراكية والحرية"

ثم أنعكف على انجاز مسرحية الذباب..Les Mouches.بإخراج دولان , وتعرف على شاب اسمر يدعى البيير كامو..Albert Camus.

وفي سنة 1943 وفي خضم أحداث الحرب العالمية الثانية نشر كتاب "الوجود والعدم"..L’être et le néant.الذي انكب على تأليفه سنوات عديدة من قبل

ولما أطلق غابرييل مارسيل شعار "الوجودية" عارضه سارتر قائلا :

< فلسفتي هي الوجود ,والوجودية لا اعرف ما هي > .وفي سنة 1944 جرى عرض مسرحية "الجلسة السرية" ..huis clos.

التي حملها شعار < الجحيم هي الآخرون >وهو شعار أسيء فهمه كثيرا.

وفي سنة 1945 سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية مراسلا خاصا لجريدتي "

.Le Combat." و ".Le Figaro." ثم عقب ذلك نشر جزئين من ثلاثية "دروب الحرية" وهما:

"سن الرشد" .L'âge de Raison

و"وقف التنفيد".Le Sursis

وفي اكتوبر من السنة نفسها صدر العدد الأول من مجلة الأزمنة الحديثة

.Les Temps Modernes.التي أسسها بمشاركة ارون, ليريس وميرلوبونتي وقاطعها مالرو.Malraux.وكامو.Camus.

وكان شعارها (إننا غواصو المعاني وقائلو الحق عن العالم وعن حياتنا) .

وفي سنة 1946 أنجز (البغي الفاضلة.La p...Respectueuse)تلاه بعد ذلك

كتاب بعنوان "تأملات في المسالة اليهودية".Réflexions Sur La Question Juive .

وفي هذه الأثناء دخل سارتر في سجال مع الشيوعيين انتقلت على إثرها جريدة الاومانيتي..L'humanité.من اتهامه بالمثالية إلى اتهامه بالعمالة للامبريالية وحينها وصفه روجي غارودي قائلا : "سارتر نبي زائف" ,"مزور الأدب"

وفي مطلع سنة 1947 ألف كتابه:

"ماهو الأدب" .Qu'est-ce-que la littérature كما تولى مهمة الرد على الشيوعيين في ندوة أسبوعية للأزمنة الحديثة واخذ حينها يطالب بسياسة الحياد بين المعسكرين ثم الغي البرنامج بسبب مقارنته بين هتلر وديغول .

وفي سنة 1948 اشترك مع جورج التمان ,وجان روس ,ودافيد روسيه في تأسيس التجمع الديمقراطي الثوري.R-D-R.الذي رفع عدة شعارات من بينها : الاشتراكية ,العداء للديغولية

,للستالينية ,للاستعمار والمطالبة بسياسة حياد بين المعسكرين . وفي شهر ابريل من السنة نفسها تم عرض مسرحية :

"الأيدي القذرة-.Les mains sales"على مسرح أنطوان .

وفي شهر يوليو وجه سارتر رسالة إلى رئيس الجمهورية الفرنسية يدافع فيها عن جان جينه .jean genet.وتضمنت عبارة "مثال فيلون وفرلين يلزمنا بمطالبتكم تقديم العون لشاعر عظيم جدا ."

في سنة 1949 نظم التجمع الديمقراطي الثوري حملة احتجاج للمطالبة بالسلام في الهند الصينية وبأيام دولية لمقاومة الديكتاتورية والحرب . اتهم على أثرها الجبهة القائدة بالوقوع في العداء للشيوعية وبالجنوع نحو المعسكر الأمريكي ثم استقال بعد ذلك من التجمع معتبرا ذلك بمثابة تجربة قاسية ودرس جديد وحاسم في الواقعية مؤكدا أن "الحركة لا تصطنع"

في سنة 1950 ندد رفقته ميرلوبوتي بوجود معسكرات سوفياتية وفي شهر جويلية من نفس السنة ظهرت له مسرحية :

"الشيطان والرحمن.Le Diable et le bon Dieu" وكتاب أخر بعنوان القديس جينه ممثل وشهيد في Saint Genet comédien et martyr.1952

وفي سنة 1954 قام برحلة الى الاتحاد السوفياتي ,قدم عنها تقريرا في خمس مقابلات نشرت في جريدة التحرير.Libération.كما عارض فكرة عرض مسرحية "الأيدي القذرة" في فينا تفاديا لانزعاج رفاق الطريق .

في شهر جوان من سنة 1955 تم عرض مسرحية.Nekrassov.في مسرح أنطوان قام بعدها برحلة الى الصين مع سيمون دي بوفوار .

وفي يناير من سنة 1956 أعلن سارتر عم موقفه من ثورة التحرير الجزائرية مؤكدا ان النضال إلى جانب الشعب الجزائري أمر جوهري لتخليص الجزائريين والفرنسيين معا من الاستبداد الاستعماري ثم التقى بعد ذلك الطالبة الجزائرية ارليت ارليت القيم وتبناها .

وكانت له وقفة ضد التدخل السوفياتي في هنغاريا اذ اختلف مع الحزب الشيوعي الفرنسي قام على اثرها بقطع الصلة به نهائيا محاولا الدخول في حوار مع الشيوعيين في بولونيا .

وفي سنة 1958 دافع عن حقوق الإنسان في الجزائر بعنوان انتصار.victoire ورد في 22 ماي على الديغوليين وموقفهم من حرب الجزائر بعنوان الدعي وفي 30 من الشهر نفسه شارك في التظاهرات المعادية للديغولية .

وفي مطلع 1959 أعلن تأديبه لشبكة جانسون.Janson.المساعدة لجبهة التحرير الوطني.F.L.N.ثم أوقفت الشرطة الفرنسية أعضاء الشبكة .

قام بعد ذلك بنشر كتاب :

"نقد العقل الجدلي.Critique de la raison dialectique " الذي وضعه بين سنة 1957 وبداية 1960 وقام بعد ذلك بالسفر إلى كوبا معربا عن تأييد ثورتها "عاصفة على السكر" .

وفي سنة 1962 وضع بعد ذلك مقدمة نيزان Aden Arabie.وكذلك مقدمة لكتاب فيرانز فانون "معذبو الأرض" معلنا فيها أن "الثقافة الحقيقية هي الثورة ذلك معناه أنها تولد حارة" وان "المستعمر يبدأ من الغصاب الاستعماري وهو يطرد المستوطن بالسلاح" وكان قبل ذلك قد مر بمتاعب كثيرة منها محاولة نسف شقته مرتين .

اشتغل بعد ذلك كتابة سيرته الفكرية "الكلمات.Les mots" وفي سنة 1964 رفض جائزة نوبل للآداب معلنا "على الكاتب ان يرفض التحول الى مؤسسة....وسوف أكون عاجزا عن جائزة لينين إذا أراد احدهم منحي إياها " .

امتنع في سنة 1966 عن الذهاب إلى الولايات المتحدة لإلقاء محاضرات وشارك في 1966 في عضوية محكمة برتراند راسل المعقودة لمحاكمة مجرمي حرب الفيتنام .

في شهر أكتوبر من نفس العام انتقد عددا من المثقفين وكانت له معهم معارك حامية ومنهم (فوكو ,ليفي ,شتروس ,لاكان ,التوسير وجماعة تل كل) , معتبرا أبحاثهم لا تأخذ بعين الاعتبار الرؤية الماركسية للتاريخ .

في سنة 1967 رفض السفر إلى الاتحاد السوفياتي . وظل يدافع عن ريجيس دوبريه المعتقل في بوليفيا . وانشغل بوضع حيثيات الحكم الصادر عن "محكمة برتراند راسل" متبادلا الرسائل بشأنها مع الجنرال ديغول .

وفي السنة نفسها قام بزيارة إلى مصر وإسرائيل مدافعا عن حق هذه الأخيرة في الوجود .

في سنة 1968 ساند الحركة الطلابية ووقف الى جانبها كما أن التدخل السوفياتي في براغ قائلا :(النموذج السوفياتي لم يعد صالحا اليوم , فقد خنقته البيروقراطية) وفي شهر ديسمبر من سنة 1969 كانت له استجابة لدعوة تلفزيونية في مقابلة مع اوليفييه تود حول حرب الفيتنام تراس بعد ذلك :تحرير جريدة "قضية الشعب" المتطرفة وقام بوضع مقدمة لكتاب انطونان ليهم .

وفي 1971 قام بتوقيع نداء لصالح اليهود في الاتحاد السوفياتي كما أعلن القطيعة مع فيديل كاسترو.

في سنة 1973 أصيب سارتر بنصف العمى وتخلى عن إشرافه على صحيفة.Libération بعد صور العدد الأول منها .

ثم رفض الاقتراع للرئيس الفرنسي ميتران معلنا أن "اتحاد اليسار مهزلة"

واهم ما ميز سيرة حياته في سنة 1975 هو انشغاله بكتابه نص أساسي بعنوان "صورة ذاتية في سن السبعين " وأجرى مقابلة مع ميشال كونتا , قام على إثرها بالسفر إلى البرتغال التي أقام بها زمنا . وكان حينئذ قد صار شبه أعمى . فتوقف عن نشاط الكتابة .

في سنة 1976 صدر العدد العاشر من سلسلة "مواقف.Situations"

ثم عاد إلى الكتابة منشغلا بدراسة فلسفية بعنوان السلطة والحرية التي لم تنته .

وفي سنة 1980 ظهر فيلم "سارتر بنفسه" في تظاهر المنشقين السوفيات خلال زيارة بريجنيف لباريس . ومن مواقفه أيضا إدانته للاتحاد السوفياتي في تدخلهفي أفغانستان معلنا في جريدة.1979Le Matin : (ان الاحزاب هي وقائع يمينية ولا بد لليسار ان يتشكل من حركات جماهيرية .

وفي شهر مارس 1980 أجرى حوارا مع معاونة نشرته له جريدة. Nouvel Observateur.في أعدادها الصادرة أيام 10 -17 -24 .

وكانت وفاته في يوم 15 نيسان من نفس السنة في التاسعة مساء في باريس ويتضح المعنى الموقف في فلسفة العصر الحديث على انه علاقة الإنسان ببيئته وبالآخرين في وقت ومكان محددين , يلزم الإنسان بالكشف عما يحيط به من أشياء ومخلوقات على أنها وسائل لنيل حريته أو عوائق في سبيلها . ولا سبيل إلى اتخاذ موقف إلا بمشروع يقوم به الفرد مرتبطا بما يحيط به من عوامل يتجاوزها بمشروعه إلى غاية له يحاول بها تغيير حالته الحاضرة إلى ما هو خير منها وهذه العوامل مهما كانت درجة تعويقها هي التي تحدد مشروعه وتشف عن حريته .

ويجب أن تتحد هذه الحرية بتلك العوامل , فيجب ألا تبلغ الحرية في مشروعاتها درجة الوهم ببعدها عن الواقع وإغراقها في الأحلام ......كما يجب ألا تضعف تلك الحرية إلى درجة السلبية والتخاذل فالموقف يتألف من عوائق ومن مقاومة لها في وقت معا .

وقد يكون الإنسان في تغير دائب تبعا لمشروعه وما يبذله من جهد . وفيه يتحقق وجود المرء عن طريق العمل والصراع بوجوده في حالة ما وتجاوزه هذه الحالة في آن واحد .فما الوجود الإنساني المشروع سوى وجود في موقف (1)

انظر قضايا معاصرة في الأدب والنقد تأليف الدكتور محمد غنيمي هلال ص 130 - 131 .

الأعمال النظرية

1938 نشر كتاب الغثيان La nausée

1939 نشر كتاب الجدار . le Mur

1940 نشر كتاب التخييل.L’imaginaire

1943 نشر كتاب الوجود والعدم L’être et le néant

وقد استغرق البحث 10 سنوات

1960 نشر كتاب نقد العقل الجدلي

Critique de la raison dialectique.

1963 وضع سيرته الفكرية "الكلمات".Les mots

الروايات

1927 "نكسة.Une défaite" رفضت دار غاليمار نشرها

1945 نشر جزأين من ثلاثية :

دروب الحرية.Les chemins de la liberté

سن الرشد L’âge de raison

وقف التنفيذ.Le Sursis

المسرحيات

1941 : إعداد مسرحية الذباب.les.mouches

1942 : عرض مسرحية الذباب

1944 : عرض مسرحية الجلسة السرية.Huis clos.

شعارها الجحيم هي الآخرون وهو شعار أسيء فهمه كثيرا .

1948 : عرض مسرحية الأيدي القذرة.Les Mains sales

على مسرح أنطوان

1951 : مسرحية الشيطان والرحمن Le Diable et Le bon Dieu

1955 : عرض مسرحية نيكراسور.Nekrassov في مسرح أنطوان

الفصل الثاني

ألبير كامو

(1913 – 1970)

هوأديب فرنسي كبير , تخطت شهرته حدود قوميته , فأصبح عالميا وغدا أدبه وفكره انساني الطابع والتوجه .ولد كامو في بلكور وهو حي من احياء الجزائر العاصمة الآهلة بالسكان . تلقى فيه تعليمه الابتدائي (1) وابدى نبوغا وتفوقا ضمنا له الدراسة المجانية في الثانوية العامة . نشا في حضن ام ارملة بعدما توفي والده وهو صغير, فتولى تربيته عمه العجوز فكانت الام تعمل لتوفير ما يلزم لنفسها ولامها ولأختها الخرساء المشلولة , ولولديها البير وشقيقه الاكبر .

انتقل الى الثانوية في سنة 1930 وأصيب بمرض السل الذي انهك قواه وأقعده عن الدراسة فاضطر الى البحث عن عمل فتحصل على وظيفة كانت في الجزائر العاصمة وفي هذه الاثناء انبرى يقرا كلما يقع بين يديه من كتب الادب والمسرحيات وتجلى تأثير الكاتب الروسي الكبير دوستويفسكي في اعماله الادبية . اشتغل حينا من الظهر في مهنة الصحافة التي حببها اليه صديق يدعى باسكال فكتب في مجلة فرنسية وابدى تعاطفا كبيرا مع قضية الجزائر .

انتقل بعدها الى باريس قبيل الحرب العالمية الثانية , وانظم الى الحزب الشيوعي وعمل سكرتيرا في تحرير جريدة باريس المساء . paris soir .

انضم الى حركة المقاومة عندما احتل الالمان فرنسا فصار عضوا في هيئة تحرير صحيفة le combat التي اصبحت صحيفة يومية بعدما تحررت فرنسا من النازية عام 1940 .

فأسندت اليه حينها رئاسة تحريرها , وفي عام 1945 منح جائز نوبل للأدب وصار احد اعلامه البارزين .(2)

---

jean grenier « Albert Camus » souvenirs – Gallimard- france 1968 -(1)

(2)- انظر البير كامو – "المنفى والملكوت" – كلمة المترجم خيري حماد ص 9 – 10 .

وينحدر البير كامو انطلاقا مما تشير اليه بعض المصادر التاريخية من صلب كلود كامو احد اجداده الاوائل الذين نزحو الى الجزائر رفقة اول دفعة من المعمرين الفرنسيين من سكان الالزاس .

وقد استقروا في احدى ضواحي العاصمة الجزائرية وهي دالي ابراهيم الحالية بحسب ما تشير اليه مصلحة الحالة المدنية لمواليد مدينة بوردو الفرنسية .(1)

اذ ولد كامو بموندوفي . Mondovi (2) في اول ليلة حلت بها عائلته .

التحق ابوه بالجيش الفرنسي متطوعا ولم يتعد حينها عمره الثمانية اشهر وبعد سنة من الخدمة اصيب بشظية في رأسه بوقيعة la marne قضى اياما على اثرها في المستشفى , ولكنه ما لبث ان وافته المنية في المدينة فدفن بمقبرة الجيش في سنة 1914 .(3)

توفي البير كامو على اثر حادث سيارة عام 1970 عن عمر يناهز السادسة والأربعين وقد خلف رصيدا ضخما من الآثار الادبية المتنوعة بين قصص وروايات ومسرحيات ودراسات , ترجم معظمها الى اللغة العربية , ومن اشهرها :

---

(1)- Herbert R.lotman ,Albert camus (traduit de l'américain par Marianne Veron, le seuil paris , 1980 p 21.

(2)- قرية تقع بمدينة عنابة وتسمى دريعان .

(3)- Albert camus . l'envers et l'endroit , Gallimard, paris 1980 , p60 .

في القصة :

- المنفى والملكوت	L’exil et le royaume
- الطاعون	La peste
- السقطة	La chute
- الغريب	L’étranger

في الدراسات :

- اعراس	Noces
- اسطورة سيزيف	Le mythe de Sisyphe
- رسائل الى صديق الماني	Lettres a un ami allemand
- الوقائع (1944 – 1948)	Actuelles (1944 – 1948)
- الوقائع 2 (1948 – 1953)	Actuelles2 (1948 – 1953)
- الوقائع 3 الوقائع الجزائرية (1939 – 1958)	Actuelles3(chroniques algeriennes1939-1958)
- الرجل المتمرد	L’homme Révolté
- الصيف	L’été
-	L’envers et l’endroit
- خطاب السويد	Discours de suède
- دفاتر 1 (ماي 1935 – فبراير 1942)	carnets 1(mai 1935-fèvrier 1942)
- دفاتر 2 (يناير 1942 – مارس 1951)	carnets 2 (janvier1942- mars 1951)
- الموت السعيد دفاتر كامو رقم 01	La mort heureuse (cahiers albert camus ,n1

الفصل الثالث

الرواية العربية المعاصرة

لا شك أن الرواية العربية كجنس أدبي قد نالت جهودا معتبرة من عناية الباحثين في التعريف بها (1) , وبالظروف التي أحاطت بنشأتها (2) , وبالمراحل التي مرت بها في تطورها (3) , والنهايات التي بلغتها في أعلى مراتب نضجها (4) , والاتجاهات التي عرفتها في تعددها (5)ترقى الى مستوى ما نالته الرواية عند الغرب الذي اكتسبت مجتمعاته فضل السبق في احتضان هذا الجنس الادبي لما شهدته بيئاتها من تقدم وتمدن وتحضر وتفوق علمي وصناعي (6) , كما بحث آخرون فيما يتصل بعلاقة النص الروائي بمبدعه (7).

وقد رافقت هذه الجهود التي اهتمت بالجانب التنظيري جهود اخرى عنى اصحابها بالبحث في تقنيات السرد وما يتعلق بالشكل والمضمون او ما حققته الرواية من تطور ونضج على مستوى ما قدمته من نماذج للشخصية الحضارية العامة في الوطن العربي على امتداد آفاقه.

---

(1)- جورج لوكاتش "الرواية " ترجمة مرزاق بوقطاش , الشركة الوطنية للنشر والتوزيع , العدد 9 د. ت .

(2)- د/ عبد الملك مرتاض ,"في نظرية الرواية" بحث في تقنيات السرد , عالم المعرفة , المجلس الوطني • للثقافة والفنون والآداب ,الكويت , ديسمبر 1998 .

(3)- د/ محمد الباردي "الرواية العربية والحداثة" ج1 – دار الحوار للنشر والتوزيع –اللاذقية – سوريا , ط1 – 1993.

(4)- د/ واسيني الاعرج "اتجاهات الرواية العربية في الجزائر" بحث في الاصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية, المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر 1986 .

(5)- بيرسي لوبوك "صنعة الرواية" ترجمة الدكتور عبد الستار جواد , دار مجدلاوي للنشر والتوزيع , عمان –الاردن , ط2 واقرا ايضا مقدمة المترجم ص 5 .

(6)- د/ حميد لحمداني "بنية النص السردي من منظور النقد الادبي" المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع, ط1 , 1991 ص 5 .

(7)- صدوق نورالدين "البداية في النص الروائي" دار الحوار للنشر والتوزيع –اللاذقية سوريا , ط1 ,1994 ص 9-10

لقد بذل الكتاب المهتمون بهذا النوع الادبي جهودا كبيرة في تزويد القاريء العربي بما يلزم لفهمه واستيعابه كما قاموا بتيسير سبل المطالعة على ما انتجه الغرب من مؤلفات حول الرواية عن طريق ترجمتها (1) من مختلف اللغات وخاصة منها الانجليزية والفرنسية والألمانية والايطالية . (2)

وتتأثر الرواية نشوءا وارتقاءا من منظور النقد الادبي بعاملين اساسيين يتمثل اولهما في الوحدة الجغرافية , ويتصل ثانيهما بمقدار ما بلغه من وعي هذا المجتمع او ذاك وما تهيا له من مناخ ثقافي وتقدم علمي , وهذه العوامل مجتمعة تدفع كلها باتجاه صنع الشخصية الحضارية التي تتلاءم في ملاحمها التكوينية وطبيعة البيئة الجغرافية (3) . يضاف الى ذلك عوامل اخرى شبيهة بتلك التي رافقت ظهور الرواية عند الغرب كالمطابع والصحف والمجلات , وما عرفته المجتمعات العربية من تطور في الحياة الثقافية والأدبية والسياسية.(4) وقد جعلت الطبقة الوسطى من الفن الروائي اداة فنية تعينها على اذاعة مفاهيمها وخطابا معبرا ومؤثرا يساهم في تقديم رؤية مستقبلية للمجتمع وما ينبغي ان يكون عليه من تنظيم على مستوى العلاقات الانسانية .

ان هذه الغاية التي يهدف الروائي الى تحقيقها من خلال بث الافكار ونشر المفاهيم اعطت المضمون قيمة جعلتها تحول دون العناية بالشكل والأسلوب , وهو الامر الذي لم يبق من بعض الآثار سوى قيمتها التاريخية .

---

(1)- برنار فاليت "الرواية" مدخل الى المناهج والتقنيات المعاصرة للتحليل الادبي, ترجمة عبد الحميد بورايو , دار الحكمة , الجزائر , السداسي الاول 2002 , ص 4 – 5 .

(2)- د/ نضال الصالح "النزوع الاسطوري في الرواية العربية المعاصرة" منشورات اتحاد الكتاب العرب , دمشق 2001 ص 5- 6 .

(3)- د/ محي الدين صبحي "المجتمع العربي والرواية السورية" مجلة المعرفة , العدد 146 , نيسان 1974 , وزارة الثقافة والارشاد القومي ص 4 – 6 .

(4)- م ن ص 7 .

تخضع الرواية في تطورها للتحولات الكبرى التي تعرفها المجتمعات , غير انها لا تحيد ابدا في مسارها هذا , عن الاطار الحضاري الذي يلفها . ولا تشط عن المصير المشترك الذي يوجهها , عن وعي او غير وعي رغم ما يميز الاقاليم من خصوصيات مناخية وبيئية وعرقية . فالانتماء الحضاري , والمصير المشترك في المجتمعات الغربية التي تتحرك بموجبه الشخصيات في قصة "مدينتين" لتشارلز ديكنز , و"المثقفون" لسيمون دو بوفوار, و"الشمس تشرق أيضا لهمنغواي , مجسدة بالصور نفسها في روايات الصراع الطبقي عند جاك لندن , وفي "يوليسيس" وغيرها من روايات التراث الملحمي بتصوير جيمس جويس.

وتتأرجح نظرة الروائي المثقف بين الحاضر والماضي من اجل رسم خطوط المستقبل بوعي ما تفرزه حركة التاريخ من اشكالات وأزمات , وما يستدعيه الضمير من تساؤلات.(1)

فأبطال تولستوي تحملوا بوعي هموم المثقف القومي الروسي الذي يبحث عن معنى وجوده ضمن المجتمع الاقطاعي والتطور الصناعي وكذلك هو الشان بالنسبة لدستويفسكي الذي تؤرقه ايضا ما يبحث عنه نيتشه .(2)

وقد خلصت جهود الدارسين والنقاد في تقييمهم للرواية في مشارق الوطن العربي ومغاربه الى نتيجة تنفي وجود صلة للرواية بالقصة العربية القديمة او الحكاية , ولا بالرواية الشعبية, ولا بأي فن من فنون السرد التي عرفها التراث العربي القديم . وذلك لان الروائي في الوطن العربي كان دائما يستوحي من الآثار الادبية التي اطلع عليها في الادب الغربي بلغاتها الاصلية او مترجمة او معربة .(3)

---

(1)- مجلة المعرفة , العدد 146 , وزارة الثقافة والإرشاد القومي , سوريا 1974 ص 5 .

(2)- م ن ص5 . لم يشذ عن ذلك سوى اليهود الصهاينة الذين انتجوا فكرا وادبا لا يمت بصلة لمجتمعاتهم وانتماءاتهم الحضارية .

(3)- د/ رياض عصمت "الصوت والصدى" دراسة في القصة السورية الحديثة ,دار الطليعة للطباعة والنشر ,بيروت لبنان , ط1 1971 . ص 7 .

ان هذا الرأي قد لا يصمد طويلا في وجه من يحرصون عند التأصيل للعمل الابداعي على ضرورة ربط حاضره بماضيه من اجل استشراف آفاق المستقبل بخطى ثابتة بغرض ضمان عملية التواصل في ضوء الاصالة و الحداثة .(1) ومما لا شك فيه ان القصة الحديثة في الوطن العربي تستمد اصولها من مصدرين اساسيين يتمثل اولهما في التراث الادبي القديم بملامحه السردية المشوقة , والأدب العالمي الحديث بدراميته وتجريبيته المتأثرتين بسائر الاجناس الادبية الاخرى .(2)

ولقد عرفت الرواية العربية (3) في بضع عشريات تطورا ملحوظا على يد نخبة من المثقفين, الذين اجتمعت لديهم كل مقومات الفن السردي محاولين النهوض بها الى مستويات النضج شكلا ومضمونا .

ولعل من ابرز الآثار التي خلفتها الحرب العالمية الثانية في المجتمعات الاوروبية ما احدثته من ازمات نفسية حادة ادت الى اهتزاز القيم الانسانية , ودفعت الى التشكيك في عالم المثل والأخلاق , كان ذلك عندما استيقظت البشرية على هول الدمار , وما خلفته الحرب من مجازر .

انتكس الضمير الخلقي , وعجز الناس عن ايجاد معنى لهذا الرصيد الضخم من القيم المتوارثة التي لم تفلح في التصدي لآلة الحرب المدمرة , التي حركتها الايادي القذرة او تحكمت في مسارها النزعات الشريرة للانسان الحديث .

---

(1)- د/ محمد الباردي "الرواية العربية والحداثة" ج1 . ص 7 .

(2)- رالف ئي ماتلو Ralph E. Matlaw "تولستوي" ترجمة نجيب المانع , منشورات وزارة الثقافة والاعلام , دار الرشيد , بغداد 1980 ص 140 وما بعدها .

(3)- عبد الله الركيبي "تطور النثر الجزائري الحديث" معهد البحوث والدراسات العربية , القاهرة 1974 ص 196 وما بعدها .

وانظر ايضا د / محمد مصايف "الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام" , الدار العربية للكتاب , الشركة الوطنية للنشر والتوزيع , الجزائر 1983 ص 5 .

في هذه البيئة المشحونة بالكراهية والبغضاء وفي هذا الأفق الغربي الذي أثقل كاهله هول الكارثة , وجدت النفوس نزوعا نحو رفض النظام الأخلاقي القائم (1) وتعالت أصوات تدعوا إلى التحرر فظهرت الوجودية التي أصبح لها أتباع كثيرون وأخذت تبشر بأفكارها انطلاقا من معاينة الواقع المأساوي للإنسان مرتكزة في ذلك على ثلاثة أسس تتمثل في الحرية والمسؤولية والالتزام .

ان التفاعلات الاجتماعية والفكرية التي أعقبت الحرب العالمية الثانية دفعت المفكرين إلى البحث عن أشكال تتسع لاستيعاب المضامين ذات الأصول الفلسفية في مختلف الأجناس الأدبية وخاصة الرواية التي أخذت تنزع نحو اشكال وأنماط جديدة .(2)

وهنا يلاحظ الدارسون للرواية (3) أن الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية اتسمت بالفردية المسرفة التي حاولت أن تحدث ثورة على الواقعية بأشكالها المتعددة . وهذه الثورة أفسحت المجال لظهور تجارب جديدة أكثر قابلية واستعداد لاستيعاب معاني القلق والضجر واليأس والتمرد بل الثورة على النظام الأخلاقي والفلسفي وركائزه القديمة .

وهذه الأشكال التي احتضنت التجارب الجديدة والمفاهيم السائدة تتمثل في الوجودية والرمزية والرواية الجديدة .

إن مسوغات وجود هذه الأشكال الجديدة في الأدب الغربي تتصل بصورة واضحة بالأزمات النفسية والأخلاقية التي تعرض لها المجتمع الغربي . وإذا فان دواعي تجريب مثل هذه الأشكال تفتقر إلى مسوغات معقولة في مجتمعاتنا العربية .فلم يتعرض المجتمع العربي لهزات عنيفة تجعل الثورة على الواقعية مسايرة لمنطق تطوره .

---

(1)- محمد مندور "الادب ومذاهبه" مكتبة نهضة مصر ومطبعتها , مصر الفجالة . ص 147 .

(2)- د/ شكري عزيز الماضي "انماط الرواية العربية الجديدة" عالم المعرفة , العدد 355 , المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب , الكويت , سبتمبر 2008 .

(3)- د/ ن.ك .عصمانوف ,"الرواية التونسية"حتى عام 1985 , منشورات دار علاء الدين ط1 دمشق , 1996 ص 5-6

ومن هنا ظلت هذه التجارب الجديدة معزولة إلى حد كبير عن تطور المجتمع وانحصرت في إطار التأثرات الثقافية بأدب الغرب .(1)

حبس كثير من الروائيين أنفسهم تحت تأثير تيارات ثقافية غربية أو ظروف ذاتية في جحيم فرديتهم , وتوهموا أن مجرد الحديث عن بعض هموم الواقع الذاتي هو من صميم "الواقعية" وأخفقوا في الفصل بين ذواتهم والموضوعات التي يعالجونها فصلا فنيا . فاسقطوا مشكلاتهم وهمومهم وعقائدهم على "شخصيات كتاباتهم الروائية".

فابتعدوا بذلك عن الواقع الموضوعي , وبدت رؤيتهم إلى أعمالهم رؤية ضيقة يغلب عليها الطابع الذاتي . ومما يلاحظ عليهم تصورهم بان المهمة المنوطة بأعمالهم هي التعبير عن أفكارهم وعواطفهم من خلال "الأنا" المصابة بالنرجسية المتضخمة (2)

وفي مصر عرفت الرواية العربية على يد نجيب محفوظ اوج ازدهارها بعد ثورة يوليو 1952 في رواية "اللص والكلاب" و"ثرثرة فوق النيل" ثم تلتهما رواية "الشحاذ" التي تتجلى فيها الوجودية الفلسفية وارتقى فيها صاحبها الى الرواية الذهنية .

وهي مرحلة تمثل النضج الفني الممزوج بالألم ومحاولة استبطان الذات بالارتداد نحو عمق الداخل للبحث عن حقيقة مفقودة في ذات مغتربة عند انكسار الاحلام الكبرى .

وهي مرحلة تشاؤم وسؤال وحيرة , تاثرت بتكوين الكاتب الاكاديمي , وحيرة المثقف , وتردده بين متناقضات الحلم والواقع , الذاتي والموضوعي , المبدا والمصلحة .(3)

---

(1)- ظهرت للروائي الكبير حنا مينة "المصابيح الزرق" التي انهت مرحلة الرومنطقية التي يعد الجابري خير من مثلها في سوريا وأعلن بذلك عن ميلاد الرواية الواقعية وهو متاثر في تصويره للواقع , ورصده له بالروائيين الروس , وله ايضا "الشراع والعاصفة" وهي رواية رائعة في تصويرها لحياة الناس في الموانئ .

(2)- د/ ابراهيم السعافين "تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام" دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع ط2 1987 ص 443 .

(3)- محمد الجابلي , "نظام الرواية الذهنية" قراءة نقدية في رواية الشحاذ لنجيب محفوظ , الشركة التونسية لفنون الرسم ط1 1995 ص 19 – 20 .

ولعل التيار الوجودي الذي تسلل إلى الحياة الثقافية العربية في أواخر الخمسينات وأوائل الستينات قام بدور كبير في وضوح هذا التيار الفردي الذي فرد نفسه على الواقع ,(1) وعملت على رواجه بشكل خاص مجلة الآداب البيروتية التي نشرت العديد من الدراسات والترجمات الوجودية , وتبنت أعمال ناشئة الأدباء الذين تأثروا هذا التيار مشجعة إياهم بالجوائز أحيانا .

إن المتأمل لطبيعة الأعمال الصادرة عن الاتجاه الفردي , أو المنطلقة من الواقع الذاتي , يلاحظ اختلافا بينا في طريقة وأسلوب معالجة كل منها . ويمكن بناءا على هذا التمايز تقسيمها إلى ثلاثة أقسام متباينة وهي :

- الالتزام الوجودي تمثله أعمال سهيل إدريس في ثلاثيته "الحي اللاتيني" و"الخندق الغميق" و"اصابعنا التي تحترق"
- النرجسية تمثلها أعمال مطاع صفدي في روايتيه "ثائر محترف" و"جيل القدر" وهي اعمال ذات وشائج قربى بأعمال سارتر في ثلاثيته الشهيرة
- صراخ الذات تمثله أعمال ليلى بعلبكي في "انا احيا" و"الىلهة الممسوخة" تضاف اليهما مجموعات قصصية وخاصة منها "كوابيس بيروت" و"بيروت 75" .

- التمرد وصوت الالم العنيف تمثله غادة السمان وهو صوت يعبر عن انفعالات حادة وبأسلوب متوتر يهدف الى تصوير رفض المرأة لوضعها البشري والاجتماعي .

---

(1)- محمد الجابلي "المثقف الغربي بين الوجود والعبث" مجلة الطريق الجديد , عدد جولية – اوت 1993 .

الفصل الرابع

سهيل إدريس

(1922- 2008)

ولد سهيل إدريس في بيروت سنة 1922 وهي مرحلة تاريخية هامة جادت بكثير من قادة الفكر وعظماء الأدب والفلسفة في الشرق والغرب .وهو صحفي وباحث ومترجم وقاص وروائي وصاحب نضال سياسي .

وقد احتضنته البيئة اللبنانية في عاصمتها بيروت- التي كانت سباقة الى معرفة الوان كثيرة من الصراع , في شتى مجالات الحياة , كان من ابرزها حدة الاتجاه الكلاسيكي المحافظ , والاتجاه التحرري .

كان والده في بداية مشواره التعليمي حريصا على ان يكون تكوينه دينيا الا ان الشاب سرعان ما أعلن تمرده متحررا من زيه الديني بعد تخرجه من كلية الشريعة التي نال فيها حضا وافرا من الرصيد الديني والفقهي في سنة 1940.

شرع بعد ذلك في ممارسة الصحافة ثم تخلى عنها من اجل متابعة دراسته العليا في باريس حيث احتضنته جامعة السوربون في تحضير شهادة الدكتوراه في الأدب تحت إشراف جملة من أساتذتها .(1)

درس سهيل إدريس الفكر الغربي , و تعرف على تياراته الفلسفية ومذاهبه الأدبية عن طريق القراءة والترجمة والاحتكاك المباشر وقد نال شهادة الدكتوراه شهادة اثبت بها استيعابه للفكر الغربي .

---

(1)- د/ سمر روحي الفيصل "معجم الروائيين العرب" ص 190 – 191 .

وانشأ سهيل إدريس عند عودته إلى وطنه مجلة الآداب البيروتية الشهيرة بالاشتراك مع بهيج عثمان ومنير البعلبكي , وكان ذلك شان المشارقة ما إن يعودوا إلى أوطانهم حتى يسارعوا إلى تأسيس مجلة تكون لهم منبرا , تعلو فيه أصواتهم وتظهر من خلاله نشاطاتهم.

وقد فعل ذلك تماما الدكتور طه حسين في مصر حيث أسس عند عودته مجلة احتضنت أعمال الشباب المبدعين وكانت منبرا لتطلعات المثقفين .

تفرد سهيل بالمجلة سنة 1956 م وأخذ يدافع عن التيار الوجودي ويعرف به من خلال نشر إبداعاته وترجمة كثير من أعماله .

وفي هذه السنة أسس سهيل إدريس دار الآداب مع نزار قباني الذي انفصل لاحقا بسبب احتجاج وزارة الخارجية السورية .

شرع أيضا في تدريس اللغة العربية والنقد والترجمة في كثير من المعاهد والجامعات ثم توج أعماله بتأسيس اتحاد الكتاب اللبنانيين مع قسطنطين زريق ومغيزل ومنير البعلبكي وأدونيس ونال شرف الأمانة العامة للاتحاد منتخبا لأربع دورات متتالية .

من مؤلفاته :

1) القصص :

_ أشواق / 1947

_ نيران وثلوج / 1948

_ كلهن نساء 1949

_ أقاصيص أولى / 1977

_ أقاصيص ثانية / 1977

_ الدمع المر / 1956

_ رحماك يا دمشق / 1965

_ العراء / 1977

2) المسرحيات :

_ الشهداء / 1965

_ زهرة من دم / 1969

3) الروايات :

_ الحي اللاتيني / 1953

_ الخندق الغميق / 1958

_ أصابعنا التي تحترق / 1962

_ سراب / نشر جريدة بيروت المساء 1948

4) الدراسات :

_ في معترك القومية والحرية

_ مواقف و قضايا أدبية

_ القصة في لبنان

5) الترجمات :

_ دروب الحرية

_ الغثيان

_ سيرتي الذاتية لسارتر

_ الطاعون لألبير كامو

_ هيروشيما حبيبي لمارغريت دورا

_ ذكريات الأدب والحب "سيرة ذاتية "2005

6) الأعمال الموسوعية :

_ المنهل معجم فرنسي عربي بالاشتراك مع الدكتور جبور عبد النور .

ملاحظة :

لقد ترجم سهيل إدريس ما يزيد عن عشرين كتابا بين دراسة ورواية وقصة ومسرحية .

فسهيل إدريس إذن والحالة هذه يعد بحق من رواد الرواية العرب الذين ساهموا بقسط وافر في بلورة خطاب روائي عربي متكامل فنيا , ويأتي في زمرة الرعيل الأول من الأدباء الذين أرسوا دعائم الحياة الفكرية والأدبية في المشرق العربي .

ومنهم محمد حسين هيكل صاحب رواية زينب ويحيى حقي ويوسف إدريس وطه حسين وتوفيق الحكيم ومحمود المسعدي وعبد الرحمن بدوي ومحمد زفزاف وغيرهم كثيرون ...الخ

من يقتفي آثار سيرة الاديب سهيل ادريس عبر مختلف مراحل حياته التكوينية والتعليمية يرصد بشكل بين ثلاثة منعطفات تحمل كل منها اشارات دالة بوضوح على طبيعته وتاتي في مقدمتها مرحلة التعليم الاولى تليها مرحلة النضج والتكوين في باريس وتعقبهما مرحلة العودة الى ارض الوطن . وقد اطلق بعض الدارسين على المرحلة الاولى اسم الرومنتيكية(1) .

وقد اتفقوا بالإجماع على ان المرحلة الباريسية هي التي تجلت فيها شخصية ادريس في مختلف ابعادها واتجاهاتها ودلالاتها .

وانطلاقا مما سبق ذكره , وبالنظر الى طبيعة هذا النشاط المتميز , ينظر الى سهيل ادريس على انه يعد بحق وجها من الوجوه الرائدة في مجال الرواية . التي ساهمت في بلورة خطاب روائي عربي متكامل فنيا . وينتمي الى الجيل الذي ارسى دعائم الحياة الفكرية والأدبية في المشرق العربي .

---

(1)- انظر محمد جمال باروت – مجلة الآداب – بيروت لبنان 2008 ص 4 – 6 .

وتأتي ثلاثية سهيل ادريس في طليعة الاعمال الادبية ذات المستوى الفني المتكامل التي يشع فيها الاثر الوجودي للفكر الغربي بما لا يدع مجالا للشك . وينظر اليها على انها تمثل لونا من ادب السيرة الذي اخذ يزاحم الرواية كجنس ادبي يستوعب بقية الاجناس الاخرى .

اثر الوجودية في روايات سهيل ادريس

1)- الخنـــــدق الغميــــق :

تمثل رواية الخندق الغميق الجزء الاول من سيرة حياة الكاتب سهيل إدريس أيام طفولته وصباه ,وبدايات شبابه إضافة إلى روايته الحي اللاتيني التي تعد هي الأخرى جزءا مكملا لسيرته الذاتية أيام الدرس والتحصيل في فرنسا. وتليهما في آخر المطاف رواية اصابعنا التي تحترق . وتخضع هذه الروايات الثلاث الى نظام الثلاثيات الذي يعتبر ادبا نادرا من وجهة نظر بعض الدارسين .

ومما يلاحظ على هذه الثلاثية ايضا ان بطلها موحد (1) وتتابعها مرتب زمنيا , ومسارها متسلسل في حلقات متصلة ومتلاحقة .فهي تخضع لمنطق السيرة الذاتية المتكاملة ,(2) بحيث تفضي خاتمة كل واحدة منها الى بداية الاخرى التي تليها .

يتجلى في رواية الخندق الغميق الصراع بشكل بين بين الأجيال ,بين الآباء والأبناء ,بين القديم الراسخ والجديد الرافض ,بين تقاليد سائدة في المجتمع عمل الزمن على ترسيخها في الذاكرة الشعبية ,واستوت في الحياة اليومية للفرد سلوكا منمطا لا مناص له منه ان هو أراد نيل الرضا من سلطة الأب المتشددة أو المتسلطة .غير ان الأجيال الصاعدة التي تسلحت بنور العلم والمعرفة أخذت على عاتقها مهمة الانتفاضة والثورة والرفض والتمرد على كثير من المفاهيم السائدة التي كادت تصبح أشياء مقدسة .

---

(1)- سهيل الشملي "البطل في ثلاثية سهيل ادريس" دار الآداب ,ط1 , بيروت لبنان , 1998 ص 10

(2)- انظر جورج الطرابيشي "عقدة اوديب في الرواية العربية" ص 278 .

وانظر ايضا راي د/ ابراهيم السعافين "تطور الرواية العربية في بلاد الشام" ص 454 .

وانظر كذلك راي دوغلاس ماغراث , مجلة الآداب 1973, العدد 8, ص 52 .

في هذه الرواية ينتقد سهيل إدريس ذلك التقليد الأعمى ويرفضه بشكل تهكمي حاد نشتم منه رائحة الثورة والتمرد والعمل الجاد من اجل العزوف عن أمور في رأيه ما عاد يستسيغها جيل كله آمال وتطلعات .

وهاهو ذا في الخندق الغميق يروى في دخول مباشر حالة الخوف من الأب المستبد لدى البطل سامي .

" كان واقفا خلف الباب المشقوق , يسترق النظر إلى القاعة التي مد فيها البساط , واكتمل حوله عقد "الجماعة " متربعين على الأرض .وكان يتصدر البساط شيخ طويل كبير يبدو ان الجماعة كانت تنتظر أن يمد يده باللقمة الأولى حتى يأخذوا في التهام الطعام . وقد كان أبدا يخاف ذلك الشيخ ويفر منه كلما رآه ".(1)

"ومضت دقائق , فإذا الصحون كانت تفرغ وإذا الآكلون ينهضون وهم يتجشاون ويحمدون الله ويدعون لأبيه بان يظل بساطه ممدودا , ودعواته دائمة بالأفراح" (2)

هو مشهد إذن مليء بالصور والسلوكات التي ينظر إليها سامي بنوع من الريبة والرفض وكأنه يحاول ان يجد لها تفسيرا أو يبحث لها عن تبرير يجعله يستسيغها.

"رجال يلتفون حول مائدة طعام يلتهمونه غير مبالين بمن حولهم من الأطفال وغير مكترثين إن كان سيبقى أو لا يبقى لهم منه نصيب هذا ما يحز في نفس الصبي الواقف خلف الباب المشقوق يسترق النظر إلى جماعة هذا هو ديدنهم يأتون إلى البيت وعندما يكتمل عقد الجماعة يلتهمون الطعام ثم يدعون لأبيه بان يظل بساطه ممدودا , ودعواته دائمة بالأفراح"(3) .

---

(1)- سهيل ادريس "الخندق الغميق" ص 7 .

(2)- م ن . ص 7 .

(3)- م ن . ص 7

تعقب هذا المشهد صورة الإخوة الذين يشير إليهم بيده أن هلموا إن الجماعة قد انصرفوا فينقضون على البساط ملتهمين ما تبقى منه .ثم تليها صورة الجماعة التي انفضت من حول البساط غير تاركة عليه شيئا "كان الجوع كان مستبدا بها ذلك اليوم ا وان الطعام كان قليلا"(1) .

ثم يحملنا الكاتب الى مشهد آخر تظهر فيه صورة الأم المغلوبة على أمرها التي يلتف حولها أبناؤها يشكون حالهم أو ربما يبلغون سخطهم وغيضهم وعدم رضاهم بهذا الذي يحدث أمام أعينهم .

"وحين التقى هو وإخوته مع أمهم في المطبخ . لم يجدوا شيئا يأكلونه . فاخذ وسيم يبكي وبدت على قسماتهم جميعا علامات الحزن والغيظ" (2) .

أليست هذه صورة تظهر تلك الرغبة الملحة والطاقة الكامنة التي هي وشيكة التفجر في وجه أشياء عمل الزمن على ترسيخها , وقد ضاقت بها النفوس ذرعا وهاهي تشكو عبئها وثقلها.

وهاهو يلج عقب هذا المشهد إلى عمق الموروث الديني فيصف لنا عملية حشره في ذهن الفتى دون تدبر منه أو دراية . ولنتأمل هذا المشهد الذي يرسمه لنا سامي ذات مساء .

---

(1)- سهيل ادريس "الخندق الغميق" ص 7 .

(2)- م ن , ص 7 .

اذ يقول : "ولقد أخذه التهيب ذلك المساء حتى إذا دخل القاعة الكبرى في منزل القريب الثري فرأى ما يزيد عن ثلاثين شخصا من أفراد العائلة جالسين في صمت وكأنما كانوا ينتظرون قدومه .ومرت دقائق أديرت فيها القهوة على الحضور ثم اوما إليه قريبه , فاعتلى منصة صغيرة كانت قد وضعت في صدر القاعة , وراح يتلو الأحاديث من غير أن يفهم منها حرفا. وكان قريبه يتابع الأحاديث على كتيب صغير في يده ويهز رأسه بين فترة وأخرى . ودوت القاعة بالتصفيق حين توقف واقبل عليه قريبه يقبله ثم يبسط في يده ثلاث أوراق مطوية ويقول في صوت مرتفع : "سنجري القرعة الآن بين ثلاث هدايا : محفظة النقود وساعة اليد وقلم حبر ".(1)

الخندق الغميق هو الحي الذي يقيم فيه الفتى وأسرته الواسعة "انه طريق طويل هابط لعله شق يوما من الأيام خندقا من خنادق الحرب ثم حول إلى شارع .وكان يهبط الخندق الغميق مع صبية الحي بزهو وخيلاء حتى يشرفوا على شارع رئيسي كانوا يعتبرونه نهاية حيهم وطليعة حي جديد لم يجرؤوا يوما على اقتحام أسواره فقد كانت تقوم في المدينة الكبيرة التي كانت محرمة عليهم " (2)

وهذا الخندق يبعث في ذاكرة الفتى أحداثا ووقائع ما زال يذكرها وتذكره بالاشمئزاز عندما يسترجع طريقة التأديب السائدة في المجتمع ووسائله البشعة التي شاعت زمنا طويلا .

"أتذكر كم فلقا أكلنا على يد أبي محمود ؟ وسرعان ما طفرت إلى ذهنه صورة أبيه واقفا غير مرة عند باب الكتاب يحدث المعلم "أبو محمود" ويقول له : "إن الحصير بحاجة إلى تنفيض " (3)

---

(1)- سهيل ادريس "الخندق الغميق" ص 10 .

(2)- م ن , ص 12 – 13 .

(3)- م ن , ص 13 .

يدخل بعد ذلك الفتى سامي المدرسة الدينية الداخلية ويقيم مع الطلاب فيها . فيصف لوعة الفراق المبللة بالدموع كما يصف محاولة أمه إقناع أبيه للعدول عن فكرته مذكرة إياه بقسوة الحياة الدينية وصغر سن الصبي , فكان الجواب صارما قطعيا من الأب " هذا أفضل ,لا حيلة لنا بالأمر , لقد قدر الله عليه وكتب على جبينه أن يكون شيخا مثل أبيه ثم صمت لحظة وأردف :وهذا لا شك فخر له أليس كذلك يا سامي ؟ والتفت إليه يسأله بعينيه فأجاب من غير تردد : بلى يا أبي إني أريد أن أصبح شيخا " (1).

ومنذ أن أخذه أبوه إلى المعهد الديني وهو ينتابه شعور من عدم التثبت مما هو مقدم عليه , ذلك ما توضحه العبارة :" وعجب هو نفسه من أين أتاه هذا التصميم في العزم على ارتداء العمامة والجبة مع رفاقه وكم كان عزمه شديدا عندما بكى بحرارة لما علم من أبيه أن سنه صغير وقد لا يسمح له بارتداء الجبة والعمامة هذا العام وربما حتى العام الذي يليه .

وحين أراح رأسه على الوسادة تلك الليلة ابتسم وهو يذكر قول أبيه المأثور "العمامة تاج العرب " (2) .

هنا نفد لاذع من الكاتب لطريقة التدريس السائدة إذ أن جميع أقرانه الذين لم يكونوا يفهموا شيئا من الدروس يستعجلون لبس الجبب والعمامات .

وكم كان شعوره حرجا عندما قال له المدرس وهو يحاول تثبيت العمامة على رأسه :" أنت منحوس ... ستكون شيخا منحوسا , فلم يدرك كيف يكون الشيخ المنحوس .ولم يهتم كثيرا بهذا القول . فقد كان نافد الصبر , يود ان يفرغ المدرس من لف العمامة" (3) .

---

(1)- سهيل ادريس "الخندق الغميق" ص 20 .

(2)- م ن – ص 20 .

(3)- م ن – ص 28 .

وكم أحس بثقلها عندما شعر بها أخيرا تستقر على رأسه ولكنه التفت إلى رفاقه يستطلع تأثير ذلك عليهم فوجد خمسة أو ستة منهم قد وضعوا أيديهم على أفواههم يخفون بها بسمة أو ضحكة واخذ يساءل نفسه : لماذا عساهم ينظرون اليه هذه النذرة المستفهمة؟ ولماذا يريدون ان يضحكوا ؟ وفجأة انفجر احدهم وكان لم يلبس بعد جبته وعمامته بضحكة ثاقبة وهو يمد سبابته مشيرا اليه قائلا :"انظروا ...انظروا الشيخ سامي ". وكاد الجميع ينفجرون مثله لولا تقدم منهم ناظر بسرعة وصفعه على خده صفعة مرنة وهو يقول له : "اخرس يا قليل الأدب :احترم الجبة والعمامة "(1) .

ومرة أخرى يجري عليهم فيها رئيس المعهد تفتيشا للتأكد مما اذا كانوا ينفذون أوامره ' وعندما جاء دوره هو وسأله :"لماذا لم تحلق شعرك ؟ فلم يجب فسقطت العصا على رأسه ,ولكن الرئيس لم ينتقل إلى زميله الذي يليه في الصف بل ظل واقفا أمامه يسائله : ولماذا لم ترخ ذقنك ولم يدر هو نفسه كيف تأتى له ان يجيب فورا : انها لم تطلع بعد فإذا بعينيه تجحظان ويرفع عصاه فيضربه على راسه ضربة أوجعته فتأوه ثم قال له انك تجيب ايضا ايها الوقح . اخرس يا قليل الأدب فيغضي ببصره الى الأرض ولا ينبس بكلمة" (2).

عقب ذلك يتحدث الكاتب عن خجل الفتى من الحي وأقرانه فهاهو يقول :"لقد انتصب بينهم وبينه حاجز ضيق لقد أصبح ينتمي الى عالم غير عالمهم عالم الأحداث العابث اللاهي..."(3) .

ثم يعمق الهوة بينه وبين الآخرين من اقرانه في الحي قائلا :"سيخسر كل أصدقاء الحي عما قليل , سيخسر الخندق الغميق كله , سيعيش بعد الان وحيدا " (4) .

---

(1)- سهيل ادريس "الخندق الغميق" ص 28 – 29 .

(2)- م ن – ص 34 .

(3)- م ن – ص 35 .

(4)- م ن – ص 35 .

ثم يتحدث الكاتب عن غربة الفتى سامي في بيته واستئناسه فقط بأخته هدى ...ثم يزداد الاحساس تفاقما فيتملكه شعور بالخوف من نظرات الاقران فيعتكف يومي الخميس والجمعة عند عودته من المعهد وها هو يصف لنا رغبته في التواري والاعتزال .

"وانقضت بضعة أسابيع لازم فيها المعهد والبيت كليهما وشعر ان دائرة محيطة تضيق حتى لا تتعدى أربعة جدران غرفته وان مرمى بصره يتقلص حتى يتجمع في صفحة كتابه"(1) .

انه ضرب من اليأس والكآبة تسللا الى نفس البطل سامي الذي سئم من محيطه , وبدأت تشغله اسئلة عن الذات التي شرع في رحلة البحث عن وجودها في جملة من التناقضات التي اخذت تلف حياته , وتدفعه الى التمرد والعزوف عن ما اريد له ان يكون عليه من مصير . انها مشاعر القلق والضجر التي تحيلنا الى اجواء سارتر في كتابه الكلمات .

ثم يحدث بعد ذلك نفور لدى الفتى من هذه الحياة التقليدية تعقبه تحولات عميقة يتغير على اثرها مصيره ,ومسار حياته العلمية . ذلك ما يعبر عنه بقوله :"وأحس انه يميل ميلا خاصا الى المجلات الادبية ويجد لذة في مطالعتها . وذات ساعة راودته رغبة ملحة في ان يكتب وكانت فكرة اقصوصة وهمية تجول في ذهنه منذ حين فانشا يخط بعض سطورها وهو يحس نشوة غريبة لم يكن له بها سابق عهد ‘ وحين كتب صفحتين وتوقف ليستريح احس بلهب يلفح وجهه وسرعان ما ايقن بان الكتاب والقلم سيكونان وحدهما في عالمه المغلق النافذتين المفتوحتين على الدنيا" (2) .

ان الكتاب والقلم اشارات تدل دلالة واضحة على ان البطل سامي يريد من خلالهما ان يؤسس لحياة مستقبلية في محيط العلم والمعرفة والكتابة التي تجسد حرية الفكر وعدم الرضا بالخضوع والتبعية وكأنما يريد ان يضمن حريته الفردية من خلال المعاني التي تبثها الكلمات . وهذه اشياء تذكرنا بسارتر في سيرة حياته "الكلمات" التي ينقلنا فيها الى ما تثيره فيه الكتب المصفوفة في مكتبة العائلة .

---

(1)- سهيل ادريس "الخندق الغميق" ص 39 .

(2)- م ن – ص 39 .

يتحدث الكاتب بعد ذلك عن ولع الفتى سامي بالمطالعة وتعلقه بالكتاب في وصف جميل اذ يقول : (واخذ تعلقه بالكتاب الذي يختاره هو نفسه يشتد ويعمق بقدر ما بدا يمل الكتاب الذي كانوا يختارونه للدرس , فقد كان هذا كتابا اصفر غالب الأحيان, وكان مؤلفه من القدماء من الذين مضت على وفاتهم قرون وكان يشعر ان هذا الكتاب نفسه قد مات مع صاحبه وعبثا يحاول اصحاب المعهد ان يبعثوه في نفوس الطلاب . لقد كانوا يدرسون الفقه في كتاب كبير لا يترك شيئا من شؤون الانسان الا اورده حتى اصبحوا يعتقدون بان هذا الكتاب يغني عن

كتاب اخر ... ومع ذلك فكثير ما كانت تغيب عنهم الحكمة من بعض احكام الدين , فإذا توجهوا في ذلك على مدرس الفقه ادلى لهم بما لا يقنعهم غالبا او اكتفى بان يقول : " ولا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم " بل كثيرا ما يجيب "بني هكذا انزل الشارع ! فيعلمون انه لا يحق لهم بعد ان يسالوا او يمنعوا في الاستفهام ويكتفون بالحفظ على مضض).(1)

يظهر لنا بعد ذلك عن طريق المفاضلة شدة تاثره بمادة الادب وميله لها فيعبر عن ذلك بقوله : " اما هو , فقد كانت دروس هذا المدرس الاديب هي التي كهربت روحه بالموهبة الادبية ورسمت له طريق مستقبله " (2).

وبعد ذلك رسم سهيل ادريس الحالة الانسانية للفتى وهو ينتقل من مرحلة الطفولة الى مرحلة المراهقة . وحاجة الانسان للانعتاق ولو قليلا وتذوق بعض الملذات ...

(حين أيقظه الناظر فجر ذلك اليوم، لم يطلب منه، على عادته، أن يمضي فيتوضّأ تمهيداً لأداء أذان الفجر، بل استوقفه لحظة، والصمت يسود بناية المعهد كلها، ثم سأله بعد تردّد:
-ابني... ألم تبلغ بعد؟
ففوجئ بالسؤال، ولم يفهمه بادئ ذي بدء، ثم تذكر بعض دروس الفقه الأولى التي تلقنها في المعهد، وكان الناظر نفسه مدرس الفقه، فأجاب وقد أغضى ببصره:
-كلا... يا شيخي... بعد...

---

(1)- سهيل ادريس "الخندق الغميق" ص 40 .

(2)- م ن –ص 45 .

وشعر بالخجل والحرج، فهمَّ بالاتجاه إلى المغاسل، ولكن الناظر استوقفه من جديد:

-لا تنس أن تخبرني بذلك.. فلا بدّ يوم ذاك من الطهارة.. يجب أن تُسقِط الغسل..

وبعد زهاء أسبوعين، قال للناظر حين أيقظه، يلتهب وجهه بحمرة الخجل:

-شيخي.. يجب أن أغتسل...

فرمقه الناظر لحظة، ثم صرف عنه نظره. وقال أنه ذاهب ليشعل له نار الحمّام.

وصباح ذلك اليوم، هبط إلى غرفة المدرّس وهو يحسّ شيئاً جديداً في روحه، يستشعر منه الحياء والجرأة في وقتٍ واحد. على أن كل ما أدركه يومذاك، هو أنّه قد خلّف/أي ترك/ عهد الطفولة والحداثة..." (1) .

غير انه شعر بفضوله يزداد، وأنه يتفتّح حسّاً وسمعاً ونظراً. فلقد خطر له ذات ليلة، وكان القمر بدراً شديد الضوء أن يصعد إلى سطح بناية المعهد. وقد ألفى باب مغلقاً، ولكن عالجه قليلاً فانفتح. وفوجئ ببعض زملائه واقفين عند الحاجز، وحين رأوا الباب يفتح، ساد بينهم الاضطراب فحاولوا أن يتفرقوا، وقذف اثنان

منهم بشيء كان في يدهما، ولكنهم إذ عرفوه، عاودهم الاطمئنان، وقال أحدهم:

"-لقد أخفتنا... حسبناك الناظر" (2) .

وتلي هذه الفقرة احاديث مطولة عن اشياء ظلت ردحا طويلا من الزمن في عقله من الاشياء المحرمة .

---

(1)- سهيل ادريس "الخندق الغميق" ص 47 .

(2)- م ن –ص 47 .

ثم سحب يده من خلف ظهره. وعاد إلى تدخين لفافته، بينما سارع أحد اللذّين قذفا اللفافة إلى تدخين سواها، وقدّم له واحدة، فرفضها على الفور، على أنه ما لبث ان طلبها وأنشأ ينفث من دخانها، فلا يحس له بلذة، ولكنه يظل مع ذلك سعيداً راضياً أن هذا شيء جديد يقدم عليه.

والتفت لحظة، فرأى أنظار زملائه معلقةً بنافذةٍ مضيئة في بيتِ يجاور المعهد على انخفاض.. وما لبثَ أن رأى طيف فتاةٍ يلم بالنافذة، وعاد الطيف بعد دقائق يقف خلف الشباك، فإذا هي فتاةٌ شقراء الشعر ناضرة الجمال، ترتدي ثوب نومٍ أزرق، وترفع بصرها وتنظر إلى القمر، وترفّ على وجهها ظلال الغبطة والرضا.. وحين رفعت ذراعها فأسدلت الستار على النافذة، أدرك أنها لا بدّ قد رأتهم يراقبونها، فارتدّ عن الحاجز يشعر بالخجل، ورأى رفاقه يتراجعون وهم يضحكون." (1)

وقادته قدماه في الليلة التالية على السطح، فطلب لفافة أخرى دخّنها فشعر لها بلذّة لم يعرفها بالأمس، ونظر إلى النافذة يترقب الطيف مع رفاقه، حتى إذا مر، لم يتمالك أن صرخ:

-هذه هي... هذه هي...

فاندفع أحد رفاقه يكمّ فمه بيده وهو يقول:

-هل أنت مجنون؟.. إخرس!

واستبدّ به قلقٌ غريب تلك الليلة، فظلّت عيناه مفتوحتين ردحاً طويلاً. وكان يوشك أن يغمضهما حين رأى في الظلام شبح رفيقٍ له يدخل غرفتهم، فيقترب من سرير رفيقٍ آخر، ويبدآن يتهامسان.. ولم يلبث طويلاً حتى سمع هسهسة قبلاتٍ وتنهدات...

ولم يستطع النوم تلك الليلة، وظلّ يتقلّب في فراشه حتى انبعث صوت الجرس، يتبعه صوت الناظر الجهوري:

-الصلاة... الصلاة..

فأحسّ بأنه قد أُنقذ.

---

(1)- سهيل ادريس "الخندق الغميق" ص 48 .

وبعد ظهر اليوم التالي، قرأ على لوحة الإذاعة أمراً بمنع الطلاب من الصعود إلى السطح، فخفق قلبه خوفاً وخشية، ودخل المكتبة فقضى فيها ساعات طويلة حتى حان موعد الطعام وصلاة العشاء، فأحس برغبةٍ شديدة إلى النوم، وأوى إلى فراشه باكراً.

ولم تمضِ أيّام حتى أتاه صديقه "رفيق" يهمس في أذنه أنه وبعض الزملاء يفكرون في الذهاب إلى السينما في تلك الليلة، واقترح عليه أن يرافقهم، فداخله من ذلك خوف ورهبة. إن أباه كان يمنعه دائماً من ارتياد السينما، وهو لم يُسمح له إلا مرّة واحدة، في يوم عيد، بحضور فيلم قصير عن الحج مع أمه وإخوته. ولم يجرؤ قط على أن يصحب أخاه فوزي الذي كان يذهب بالخفية مرة أو مرتين في الشهر على السينما...

أما وقد أصبح الآن شيخاً، فالمشكلة أدهى وأمر. على انه سأل صديقه مع ذلك، بدافع الفضول:

-ولكن، كيف نذهب إلى السينما؟ وماذا نفعل بالجبة والعمة؟

فهوّن عليه رفيق المر، وقال أنه من اليسير أن يتدبروا الوضع، ثم أبلغه أن كلاً من الرفاق سيستأذن الناظر في التغيب وان عليه أن يتدبّر أمره واندفع في حماسٍ إلى الناظر، على خوفه وتهيّبه، فزعم أنه مشتاق إلى أمه وإخوته وانه يود أن يقضي الليلة معهم ويعود باكراً إذا أصبح.(1)

وقبل أن ينصرف على المنزل، تواعد مع رفاقه على الالتقاء عند منعطف شارعٍ مظلم، غير بعيد عن دار السينما.

وحين بلغ البيت استغرب ذووه مجيئه، فادعى أمام أبيه بأنه سيجتمع مع زملائه في دار أحد الرفاق ليتذاكروا في السهرة ويحفظوا القرآن، فاسترضى الله عليه وأوصاه بألا يتأخّر في العودة. وانتهز فرصة اجتماع ذويه في غرفةٍ داخلية، فقصد غرفة الاستقبال واخذ جبّته فلفّ بها عمّته، وأدخلها برفق تحت إحدى الأرائك، حتى إذا تيقّن من أنهما غير ظاهرتين للعيان،خرج على مهل وفتح الباب الخارجي، ومضى مسرعاً، وهو يشعر بأنه أصبح خفيفاً رشيقاً للمرّة الأولى في حياته منذ بضعة أشهر.

(1)- سهيل ادريس "الخندق الغميق" ص 50 .

وكان صديقه رفيق أول من رآه في المكان الذي تواعدوا للقاء عنده. وعجب أن يراه حاملاً في ذراعه سلّةً متوسطة الحجم، وغذ سأله عما فيها، أزاح رفيق ورقة كانت تغطي وجه السلّة، فظهرت العمة وتحتها الجبة.(1)

وإن هي الا دقائق حتى أقبل الرفاق الثلاثة اللذان كانا ينتظرانهم، فاستغربا أنهم لا يزالون يحتفظون بزيّهم الديني، ولكن ما لبث اثنان منهم أن دخلا دكاناً قريباً ثم خرجا منه بلا جبة ولا عمة. وأما الثالث فقد انتظر حتى وصل رفيقاه، فاختبأ وراءهما في الظلام ثم نزع عمته عن رأسه فحلّ المنديل عن الطربوش، فوضعه في جيبه ثم عاد يعتمر الطربوش بعد أن خلع جبته وطواها في صحيفةٍ كانت معه، وأخرج من سترته نظارتين فوضعهما على عينيه ثم قادهم إلى السينما.(2)

وخرجوا من السينما في ساعةٍ متأخرة من الليل، واستحثّ هو صديقه رفيق للعودة، ولكنهما فوجئا بأن رفاقهما الثلاثة الآخرين ظلوا لحظة واقفين يتشاورون فيما بينهم، ثم يلتفت أحدهم فيدعوهما على مرافقتهم إلى مكانٍ قريب لم يذكر ما هو، ولكن رفيق يسرع في الرفض...

أما هو فلم يفهم على أين دعاهما زميلهما، ولم يفهم لماذا رفض رفيق، ولم يحاول أن يسأله في ذلك حين استقلا الترام عائدين إلى منزلهما.(3)

وطرق باب بيتهم بيدٍ ترتجف. وقد كان يدعو الله ألا يوقظ أباه، بل أمه، لفتح الباب. فقد كانت معتادة أن تفتح الباب لأخيه، إذا ما تأخّر ليلاً، من غير أن تضيء النور، واستجاب الله دعاءه، فكانت أمه التي فتحت الباب، ثم انفتلت عائدة إلى سريرهما كعادتها. ولكنّه ما كاد يقفل الباب، حتى انبعث النور في المدخل، فإذا بأبيه واقفٌ ينظر إلى الساعة فيجدها قد تجاوزت الثانية عشرة،

---

(1)- سهيل ادريس "الخندق الغميق" ص 53 .

(2)- م ن – ص 60

(3)- م ن – ص 65 .

وإذا به يلتفت إليه قائلاً:

-تأخّرت يا سامي... ألا تزالون حتى الآن تتذاكرون وتدرسون؟

ولم يدر بما يجيب، وكان يوشك أن يفتح فمه ليقول ما لا يدريه حين رأى أباه يقترب منه فجأة وقد اتسعت عيناه وبانت الدهشة على قسماته، ثم يقول له:

-ولكن أين الجبة والعمة؟(1)

فأصيب بالبكم، وحاول عبثاً أن ينطق بكلمة، أن يقول شيئاً حتى لا يظلّ صامتاً.. ثم اتجه إلى قاعة الاستقبال فأضاء مصباحها، ولما انحنى إزاء الأريكة أحسّ بقدمي أبيه خلفه.. وحين سحب الجبة والعمة، لم ينظر إلى أبيه، بل اخذ ينفض الغبار الذي أدركه..

وكان يعلّق عمامته على المشجب، حين سمع صوت أبيه يقول في غيظٍ مكبوت كأنما لا يريد أن يوقظ أحداً:

-لعنك الله وغضب عليك! يا خيبة أملي فيك ويا ضيعة رجائي!..(2)

ثم أقبل عليه يهزه من كتفيه ويسائله:

-أين كنت؟ كنت تتذاكر مع رفاقك وتحفظ القرآن؟ إن القرآن براءٌ منك! كنت ولا شك في مكانٍ مشبوه... كنت في السينما، أليس كذلك؟(3)

ورفع رأسه إلى أبيه وهزّه بالإيجاب، فإذا أبوه يدفعه بيده دفعة قويّة وهو يقول له:

-إذهب الآن ونم... وسوف يكون حسابك عسيراً! بئس الابن أنت!

وكان يرتجف من الهلع حين دخل غرفته، فلم يضيء النور حتى لا يوقظ أخاه فوزي.

وإذ أوى إلى فراشه، شعر بالذل والاحتقار لنفسه: فهو قد كذب ودخل مكاناً مشبوهاً، وأغضب أباه، وأهان جبته وعمته...

وأوشكت دمعة أن تطفر من عينيه من شعوره بتلك الغصّة الشديدة في حلقه، ولكنه تذكّر فجأة...

---

(1)- سهيل ادريس "الخندق الغميق" ص 70 .

(2)- م ن – ص 76 .

(3)- م ن – ص 80 .

تذكّر عيني تلك الممثّلة الزرقاوين، وشفتيها الريانتين ونهديها المسكِرَين... ثم رآها تقبل على الممثل فتضمّه إلى صدرها ضمةً يلتصق فيها الجسدان، وتلتحم الشفاه في قبلةٍ محمومةٍ عاصفة.

وتجمّع على نفسه في سريره، واستسلم للأحلام...

يتحدث عن الحالة النفسية الجديدة التي اكتنفت الفتى بعد مغامرته الأولى، كما يروي استدعاء الناظر له _ وهذا أقل رتبة من رئيس المعهد_ ، وإجباره على الاعتراف بما فعله ورفاقه، وابتهال سامي الفتى للناظر كي لا يقول لرفاقه أنه هو من وشى بهم! ثم دعوة الناظر له ولرفاقه الأربعة قبل صلاة العصر، منذراً إياهم بالطرد إذا ذهبوا إلى السينما مجدّداً،عدا عن أنه سيرفعها إلى رئيس المعهد

عندئذٍ.

ثم يروي الكاتب قصة صديقه عزيز، ذاك الشيخ الشاب الذي أوشك على التخرج من المعهد، وترجم لمجلةٍ مصرية قصةً فرنسية. فيصف سعة ثقافته ورهافة ذوقه، وتحلقه ورفاقه حول عزيز يستمعون حديثه الجميل في الأدب والفن.

وفي مشهدٍ طريف يروي الكاتب الآتي:

(وكان عزيز يتخذ من رفيقٍ لهم شيخ كبير الجثة سميناً يدعى "كزكز" هدف سهامه، يناوشه ويتندّر عليه في غير ما أذى. وقد حدث أن عزيز كان يؤم الطلاب في صلاة المغرب ذات مساء، ويبدو أن الشيخ كزكز كان قد تخلف في تلك الصلاة فلم يدركها إلا في الركعة الثانية. وقد شعر المصلون بوطأة جسمه ووقع خطاه حين دخل المسجد فارتجّت له جدرانه! ويبدو أن "عزيز" كان أشدهم شعوراً بمجيء "الشيخ كزكز" فإذا هو ينتهي من قراءة الفاتحة بسرعة، ثم يختار للقراءة سورة تناسب المقام، فيتلو بصوتٍ مرتفع: "إذا زلزلت الأرض زلزالها، وأخرجت الأرض أثقالها، وقال الإنسان مالها..." فلا يتمالك أحد الطلاب نفسه من الانفجار بالضحك، وسرعان ما يتبعه الجميع فتفسد الصلاة كلها... وعجبوا حين التفتوا أن يروا الشيخ كزكز مستغرقاً هو أيضا في الضحك، وقد احمرّ وجهه ودمعت عيناه، فبدا أكثر سمنةً وضخامة!!)

ويروي الكاتب مدى تأثير عزيز هذا على الفتى، وتوثق أواصر الصداقة بينهما، واجتماعهما على الأدب والترجمة. كما يتحدث عن حالة "عبد الكريم" الفتى الذي نقل إلى مشفى الأمراض العقلية، ليخرج منها، ويتزوج، ويعود إلى المعهد، ويوزّع الملبّس على رفاقه حلوان العرس، ذاكراً خبو ذاك البريق المخيف سابقاً في عينيه بعد زواجه.

ثم يتوفى عزيز، ويجزع له سامي وكل طلاب المعهد لوعةً وأسى، كما يبعث سامي إلى المجلة المصرية _التي توسّط له عزيز لكي ينشر فيها_ مقالاً في رثاء عزيز، فتضعه المجلة على صفحاتها.

ويُختتم الفصل بقوله:

(وكان قد ابتاع في هذه الأثناء نسخة أخرى من رواية (مولن الكبير) فقرأها بشغفٍ وأسى، وبدأ في ترجمتها بعد أن كتب على الصفحة الأولى من دفتره:

"يا صديقي الحبيب عزيز: متى تراك تعود من رحلتك الكبرى كما عاد (مولن الكبير)؟".

يتحدث عن انتهاء العام الدراسي، وتفوقه في الامتحانات وتقبل تهانئ أساتذته، سوى رئيس المعهد الذي لم يوجه له كلمة واحدة!! وتساؤله عن سبب فقدان المودّة.

عدا عن فرحه بالعطلة الصيفيّة، التي توفّر له الوقت في المطالعة وترجمة القصص الفرنسيّة...

أذكر هنا الصورة الأدبيّة المعبّرة عن المصيف الذي اختاره أهل الفتى سامي هذه السنة، فيقول سهيل إدريس:

(وحين بلغوا المصيف الجديد، وقف على شرفةِ البيت الذي استأجره، فإذا سهل البقاع ينتشر أمام ناظريه بساطاً في مئة لونٍ ولون تشربها العين فلا ترتوي. واستنشق نسمةً رطبةً مرّت، فاخضلّت روحه بنداوةٍ منعشة، بعثت في نفسه حنيناً إلى الانطلاق في حياةٍ لا تحدّها قيود الزمان والمكان).(1)

(1)- م ن – ص 90 .

ثم يتحدّث عن الحبّ الأول لابنة أصحاب البيت الذي استأجروه: جمال الفتاة، وشجاعتها في مبادرته التحيّة، وإبداء الإعجاب بأذانه. يقول سهيل إدريس في وصفها:

(ثمّ تشجّع ونظر إليها نظرةً أطول، فأُخِذَ بجمال وجهها المستدير الناصع، المشرّب الوجنتين بحُمرةٍ طبيعيّةٍ رقيقة. وكان يوشك أن يقول كلمةً يشكرها بها حين غابت فجأةً عن الشرفة...).

ثم يتحدّث الكاتب عن زيارة أهل الفتاة التي سنعرف خلالها اسمها،(سميّا)، لأهل سامي.

ولنعرف أيضاً أنهما متماثلان عمراً، عرف سامي ذلك عبر أخيها سميح، الذي يصغرها بثلاثة أعوام.

وفي إشارةٍ دالّة يذكر الكاتب:

(على أنّه ظلّ فترةً متردّداً، إلى أن حثّه أبوه على الدخول إلى غرفته وارتداء زيّه الديني. ومرّ "بالدار" فرأى سميّا، ورأته أمها وأختها فسّلمتا عليه بترحاب. ولكنّهما إذ رأتاه عائداً وقد ارتدى الجبّة والعمّة، حجبتا وجههما بيديهما حتى لا يراهما... فعجب لذلك. وأمّا سميا، فقد لمح على وجهها علامة الاندهاش والتعجّب، ولم يُتح له أن يعرف أكثر من ذلك إذ دخل غرفة الاستقبال على عجل، فاستقبله الأب مرحّباً مردّداً: "ما شاء الله... ما شاء الله!").

فأصبح جل همّه أن يعرف رأي سميا به شيخاً. ثم يروي الكاتب حادثة ذهاب الفتى إلى الغابة ليترجم روايةً فرنسيّة، وكيف صادف هناك سميا وأخاها يبغيان الصّيد، وكيف ضاع أخوها وعرض عليها المساعدة ليجري المشهد التالي:

(وعاد يغلق كتابه ودفتره، ومضى يهم بأن يحثّ خطاه مسرعاً، ولكنّه رآها تتخلّف عنه فجأةً ثم تتوقّف. والتفتَ إليها، فبادرته بقولها:

-لا... أرجوك... لا تذهب معي!

فسألها وقد بدأت الخيبة ترتسم على وجهه:

-ولماذا؟

فلم تجبْ. ثم أخذت تتراجع على مهل. وظلّ هو يسائلها بعينيه.

وظلّت هي تتراجع، ثم قالت:

-أرجوك... لا تذهب معي... أنت شيخ...

وحين غابت بين الأشجار أخذ يتساءل ببلاهة:"ماذا تعني؟ هل تقصد لا أنّه يليق بي، أنا الشيخ، أن أسير معها... أم أنها بدأت تخاف منّي بعد أن تذكّرت أني شيخ؟"

وعاد إلى البت بخطى متثاقلة. وحين دخل غرفته وغرفة إخوته، وقع بصره أوّل ما وقع على الجبّة والعمة معلقتين على المشجب.

وللمرّة الأولى منذ ارتداهما، أحسّ لهما بالكره والنفور).

يتحدث الكاتب عن دعوة ناظر المعهد للفتى حملها أبوه من العاصمة، كي يلقي خطبةً في حفل تخريج الفوج الأول من المعهد، فيخصّص معظم الخطبة عن صديقه الراحل (عزيز)، ثم عودته إلى الضيعة المصطاف واسمها (المريجات). وخلعه الجبة والعمة قبل توجهه إلى المنزل، ومن منّا لم يعرف لماذا!!؟.

وفي بادرةٍ ذكية، يعلو صوت الفتاة محدثة أخاها، أنهما سيذهبان للصيد غداً. متعمدةً في ذلك أن يسمعها الفتى الشيخ، فيذهب سامي صباح اليوم التالي إلى الغابة ويلتقيها وأخاها هناك، حيث تعجب سميا من مطالعته رواية فرنسية رغم أنه شيخ...

ويبقيان سويّاً يتحادثان، عن الرواية التي يترجمها وعن صديقه الراحل عزيز، فيما ابتعد سميح عنهما ملاحقاً صيده ولينتهي المشهد بالتالي:

(ورآها تبحث في ثوبها عن منديلٍ فلا تجد، فبسط لها منديله، فمسحت به عينيها وردّته إليه وهي تقول، وقد بدأت بسمةً رقيقةً تكسو شفتيها اللتين كانتا إلى لحظة ترتعشان بالحزن:

-إني لم أعد أخاف منك... يا سامي...

فارتعش جسمه لسماعها تنطق باسمه مجرداً من "شيخ"... وابتسم لها بسمةً هادئة أجابته شفتاها بمثلها، ولمح في عينيها بريقاً ينمّ عن الاطمئنان.

وظلا لحظةً صامتين وهي تنظر إليه بعينيها السوداوين الكبيرتين، حتى أغضى. وقالت سميا:

-يجب الآن أن أنهض فأعود إلى البيت... لقد تأخرت... ويجب أن أبحث عن سميح...

ونهض هو قبلها، فاقترب منها وبسط لها يده، فأمسكت بها وهي تبتسم، ثم أنهضها وهو ينظر في عينيها السوداوين الكبيرتين فتغضي هي هذه المرّة.

وسحبت يدها من يده، وانطلقت تعدو، وهو ينظر إلى شعرها تهتزّ جديلته يمنةً ويسرة. وسمع

صوتها منادياً أخاها عبر الغابة. وقبل أن تختفي، صاح هو يقول:

-سنخرج صباح الغد الباكر إلى الصيد... يا سميح!

ومرّةً أخرى، سمع صوت ضحكتها تمتزج بزقزقة العصافير قبل أن تغيب، وعاد إلى كتابه، فأخذ يترجم باندفاع وهو يشعر بأن حبه يشتد ل"مولن الكبير"، هذا الذي استمعت إلى قصته سميا وأحبته... ألا تراها بدأت تحبه هو... قليلاً... عبر صديقه مولن؟)

ثم يروي الكاتب تبادل سامي وسميا الرسائل، ذاك عبر أخيه الأصغر، وتلك عبر الخادمة. إلى أن وقعت إحدى رسائله إليها بيد أخيه الأكبر فوزي الذي نقلها إلى أبيه وحدث المشهد التالي:

(وبكل هدوء، قال له أبوه بعد أن اختلى به في غرفته:

-اسمع بني! إنني أراك للمرة الثانية تتصرّف كما لو أنك لست بشيخ... فما هذا الذي تفعله الآن؟ إن هذه أعمال صبيانية لا تليق بشيخٍ رصين، فضلاً عن أنها قد تحدث فضيحةً لك ولنا. فانصرف عنها، رضي الله عليك، ولا تخيب أملي فيك!

وصمت هو لحظات، مطرقاً إلى الأرض، ثم تشجّع فتمتم:

-لا أظن يا أبي أن ما أفعله يضر أحداً... أو لا يليق بي، لأنني...

وقاطعه أبوه بصوتٍ ارتفع فجأة:

-بلى! إنه لايليق بك، أنت الشيخ ابن الشيخ، أن تتبادل الرسائل الغرامية مع ابنة الجيران!

وشعر بالخجل يصبغ وجهه بالدم، ولكنه رفع رأسه وقال لأبيه:

-إن الله لم يخلق المشايخ بلا قلوب!

فصاح به أبوه:

-ولكن الله عزّ وجل خلق لهم عقولاً راجحة تغلب عواطفهم وشهواتهم... هل سمعت؟

ثم استطرد بلهجةٍ جافة:

-إنني أمنعك على كل حال من مجادلتي.. لقد أصبحت وقحاً بالفعل..

وسرعان ما نهض من مقعده، ونظر إلى أبيه بتحد وهو يقول:

-لا.. لست بالوقح... كل ما هنالك أني أخالفك بالرأي!

وهذا دليل واضح على رغبة الابن الذي بلغ سن الرشد في كسر القيود المفروضة على الابناء من قبل الآباء من غير اقناع .

ولم ينتظر جواب أبيه الذي بدأ يرعد ويتوعّد، بل فتح الباب ليخرج، ففاجأه أخاه فوزي واقفاً عنده يتلصص ويتسمع، فقذف وجهه بقوله:

-دساس... حقير!

فتراجع فوزي مبهوتاً، ولكنه ما لبث أن ضحك ضحكة استهزاء.).

ثم تمرض سميا ستة أيام، يشعر خلالها بعمق حبه لها، لا متوانياً في بعث رسائل لها عبر أخيها سميح بلا وجلٍ من أحد...

وأخيراً التقيا في الغابة بعد مضي أسبوع وحدث التالي...

(وحين وافته سميا إلى الغابة بعد أسبوع، كان على وجهها شحوب، ولكنه أحس أنه شحوب يزيد وجهها جمالاً وشفافية.

وجلست إلى جذع الشجرة قبالته، كما اعتادت أن تفعل، ولكنه نهض فجلس إلى جوارها وتناول كفها بلهفةٍ واندفاع وراح ينظر في عينيها الكبيرتين السوداوين من غير أن ينغِّم بحرف.وقالت له إن رسائله إليها كانت خير عزاءٍ لها في مرضها، وأنها تعد هذه الرسائل أثمن كنزٍ تملكه.

ويلي هذا المشهد حديث عن الرحلة التي ستنتهي به في الضفة الاخرى حيث سترسو السفينة التي تنقله الى فرنسا .(1)

---

(1)- سهيل ادريس "الخندق الغميق" ص 170.

قالوا في الرواية . . .

" ليس الدكتور سهيل إدريس بأول من حاول في الدب العربي الحديث مثل هذه المحاولة التي يصور فيها انتقالا اجتماعيا من خلال تجربته الخاصة أو تجربة أسرة اتخذها له نموذجا . فالدكتور طه حسين قد حاول شيئا من ذلك في كتابه (الأيام) لكنه لم يوفق إلى مثل ما وفق إليه الدكتور إدريس في تصوير هذا الانتقال تصويرا قصديا حافلا بالحركة والحياة وباللمسات الإنسانية { ... } وسيعجبك من رواية المؤلف انه بعيد فيها عن التطفل على أي اثر من الآثار الأدبية التي أتيح لك أن تعرفها , شرقية كانت او غربية , وهو ابعد ما يكون فيها عن التطفل على الحياة , وهذا أهم . "

رئيف خوري

•

" انه لموضوع الساعة , بل موضوع كل ساعة , في هذه الرواية ...

موضوع كل الصراع المستمر بين جيل يشق طريقه , وجيل يسد الطريق .. ولقد اندحر الجيل القديم من وجه الجيل الجديد أبشع الاندحار , ومضى الجيل الجديد يشق طريقه إلى حيث تدفعه أشواقه الملحة { ... } و " الخندق الغميق الذي عاش أجيالا خلف سجف كثيفة من العادات القديمة والتقاليد المتحجرة ينفتح بغتة على العالم الأوسع , فيدرك أن ما من مقدسات في الأرض غير أشواق الإنسان إلى المعرفة – إلى الانطلاق – إلى الحرية ... "

ميخائيل نعيمة

اثر الوجودية في روايات سهيل ادريس

2)- رواية "الحي اللاتيني" :

رواية الحي اللاتيني هي الحلقة الثانية في الثلاثية من حيث التطور المنطقي للأحداث والوقائع التي ترصدها السيرة الذاتية للمؤلف و والتي يقتفي فيها آثار سارتر في ثلاثيته الشهيرة , وهاهو قد اختار السفر وقرر في رحلته الشروع في تحقيق حلم ظل في خياله غامضا كأنه مستحيل (1) هذه الرحلة ستضمن له التحرر من الماضي الذي ظل يثقل كاهله, وتجعله يحس بميلاده الجديد (2) وما فتئ ذلك الماضي يتردد عليه في رحلته ولكنه حاول ان يزيل كل العقبات "حسبه ذلك الجمود الذي ملا حياته بالروتين , وغشي فكره بغشاوة ما فتىء الغبار يتكاثف عليها , فتفغم رائحتها انفه ويضيق بنفسه وبالناس" (3) .

وهذه كلها عبارات تسوق القاريء الى اجواء القلق والحيرة والغثيان الذي يخيم على وجود سارتر في الكلمات التي يبحث من خلالها عن معنى لحياته .

هاهو البطل سامي يقرر في خلال رحلته الجديدة ان يضع حدا لحياته القديمة متسائلا في الوقت نفسه عن شانه كانسان وعن قيمته في وطنه , وفي مجتمعه , وبين اهله وذويه (4)

انه يحاول "ان يقوم ذاته في حساب الشخصية الفردية" (5) وفي ظل سلسلة من التساؤلات التي يبحث من خلالها عن معنى لوجوده يتفاقم شعوره بالتفاهة والفراغ , ويدرك بمرارة الواعي ان وجوده "شيء لا قيمة له , بل لا شيء" (6) .

---

(1)- سهيل ادريس "الحي اللاتيني" ص 5 .

(2)- م ن – ص6 .

(3)- م ن – ص 6 .

(4)- م ن – ص 6 .

(5)- م ن – ص 6 .

(6)- م ن – ص6 .

وهذه هي الخلاصة التي يهتدي اليها حين يريد "ان يضع نفسه في موضعها من حياة مجتمعه" (1)

انه يحاول ان يرسم لنفسه صورة معتبرة ,متميزة الابعاد , واضحة المعالم الا انها كانت تتردد عليه في كل مرة جوفاء فارغة يعوزها الامتلاء والكثافة .(2) ثم تهتدي نفسه المتوترة بعد المناجاة الى شيء من السكون يهدىء من روعه عندما يقر انه لم يكن يعي ذاته كانسان له قيمة حتى يشعر بالقلق او الاطمئنان .(3)

ويغذي في كيانه هذه الرغبة الجامحة في الابحار نحو الآخر عاملان اساسيان يتمثل اولهما في اللغة الفرنسية التي اعانته على تحديد مسار وجهته التي قادته نحو فرنسا , وعالم السنما الذي فتح امام اعينه آفاقا ما كان له لولاه ان يطلع على بعض اسرارها في مجتمع مغلق لا يدري فيه الانسان اين تبدأ حريته . انه بأوضح عبارة مجتمع ينكر الفرد . فالكتاب اذا والسنما هما الباعثان الاساسيان على هذا الاختيار (4) .

وعندما وطئت اقدامه ارض باريس , بعد رحلة طويلة شاقة , احس البطل سامي بالغربة , وصعوبة الاندماج في عالم جديد ليس له فيه من يؤنسه ويملا عليه حياته ويفكه من وحدته (5) وعزلته القاتلة , بعدما فقد الاهل والأحبة . فكانت المراة بالنسبة اليه طريقا لفك هذه العزلة (6) .

---

(1)- سهيل ادريس "الحي اللاتيني" ص 6 .

(2)- م ن – ص 6 .

(3)- م ن – ص 7 .

(4)- سهيل الشملي "البطل في ثلاثية سهيل ادريس" ص 58 – 59 .

(5)- سهيل ادريس "الحي اللاتيني " ص 12 .

(6)- غالي شكري "ازمة الجنس في القصة العربية " ص 171 .

وكان اول لقاء له بالمرأة في بيت صديقه كامل حيث التقى بسيمون , وجانيت وسوزان وهيلين وزينة "مارغريت" (1) صديقات ربيع وصالح وسعيد واحمد وكامل .

ينقلنا بعد ذلك البطل سامي الى المكان الذي يحمل اكثر من دلالة في نفسه انه "الحي اللاتيني" ومن يبدا بقراءة الرواية مسائلا عنوانها, مستفسرا عن أخبار أهل الحي, يدرك للوهلة الأولى أن المكان ينطوي على أسرار, ويسرد جملة من الحوادث والأخبار, إن العنوان هاهنا يستوي معلما ثريا, غنيا بالوقائع والأحداث فهو مفتوح على عدة قراءات وإيحاءات سيميائية .انه عتبة نصية يستنطقه الراغب في الولوج إلى عمق المكان لمعايشة الأحداث المتسارعة عبر محطات الزمن المتلاحقة .

فالمكان إذا مرتع خصب ومنهل عذب ومسرح يعج بالأحداث , يقول للسائل أن أبطاله طلبة وافدون إلى باريس من كافة أنحاء المعمورة , يحدوهم كلهم الأمل الكبير في إكمال الدراسة واخذ حظ وافر من العلم والثقافة التي تتوج بشهادة عليا: ليسانس أو دكتوراه .

إن العنوان هنا يشع بملامح تساهم في تحديد نقطة المحل بشكل دقيق .فهو يقع في جامعة السربون التي تحتضنها العاصمة الفرنسية باريس .انه أفق علمي وفضاء معرفي, وملتقى لمختلف الحضارات الإنسانية, والمدارس الألسنية والعقائد الدينية والاتجاهات الفلسفية والمذاهب الفكرية.

إن هذا الفضاء الذي تحتضنه بلاد الجن والملائكة يوحي بمناخ رومنسي يهيئ للشباب جميع أسباب التلاقي والحوار.لمن اراد ان يرسم لنفسه صورة متميزة الابعاد واضحة المعالم (2).

---

(1)- سهيل ادريس "الحي اللاتيني " ص 25 .

(2)- م ن – ص6 .

إن الرواية ذات بعد حضاري (1) يتجلى فيها بوضوح تام حوار حضارة الشرق مع الغرب وفيها يتمظهر الأنا مع الآخر . وهي علاقة تعكس معنى الجدل الحاد بين حضارتين, إحداهما مادية منطلقة في حين تعد الأخرى روحية متحفظة.

إن العلاقة القائمة بين الجنسين في الرواية – بين الذكر والأنثى – تترجم الحاجة الماسة إلى ضرورة التواصل من خلال الحوار والتعايش وكل ما يترتب على ذلك من أخوة واحترام أو يفضي إلى كراهية وصدام.

أما فيما يتعلق بالهندسة المعمارية فالرواية تعد بحق محكمة البناء كان كاتبها حريصا على أن تنال حضها الأوفر من العناية بحيث تغدو مكتملة النضج, متساوية الأجزاء متوازنة الفصول ونبين ذلك على النحو الآتي:

تتوزع مادة الرواية على أقسام ثلاثة يتقدمها تمهيد يمتد على مدى ثلاث صفحات تتبعها ثلاثة فصول .

الفصل الأول: يتسع مجاله ويمتد مداه من ص (5 – 111)

الفصل الثاني : يتسع مجاله ويمتد من ص (115 – 203)

الفصل الثالث : يتسع مجاله ويمتد مداه من ص (207 – 282)

أما من حيث الحقول الدلالية ذات الفاعلية السردية فيمكن رصد المتن الحكائي على النحو الآتي :

التمهيد : وفيه تتجلى عملية إبحار البطل ورفقاؤه بحيث يتم انتقالهم من فضاء إلى آخر فيمتد المكان على مدى أفقين من الشرق إلى الغرب .

(1) الحي اللاتيني لسهيل ادريس (1953) تستوي حلقة في سلسلة الروايات الحضارية التي تأتي في مقدمتها تخليص الابريز في تاريخ باريز لرفاعة الطهطاوي (1834) – علم الدين لعلي مبارك (1836) – حديث عيسى بن هشام للمويلحي (1905) – أديب لطه حسين (1935) – عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم (1938) – قنديل أم هاشم ليحي حقي (1954) – موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح (1966) – شرق المتوسط لعبد الرحمن منيف (1975).

الفصل الأول : تتجسد فيه معالم رحلة البحث عن شريك وجداني تنتهي بارتباط عاطفي تتجلى في علاقة حب مع جانين مونتيرو (1) .

الفصل الثاني : ترتسم فيه بداية عملية التصدع في علاقة البطل بجانين مونتيرو حين استفزه الحنين للعودة إلى الشرق لزيارة الأهل (2)

الفصل الثالث : يتجسد فيه إخفاق علاقة الأنا (ابن الشرق) مع الآخر (بنت الغرب) للتباين الموجود بين الجنسين والحضارتين والبيئتين تعقبه الرغبة الملحة في التخلص من الجنين وهي عملية تتجسد في أوضح صورها وهو الإجهاض الذي أصبح ظاهرة في الغرب وحدث يثير الجدل والقلق عند الإنسان الوجودي .(3)

الخاتمة : وترتسم فيها معالم طريق العودة إلى الأهل والوطن والشروع في حياة جديدة حافلة بالنضال القومي ومليئة بالنشاط السياسي وهي حركة معاكسة تعيد البطل إلى الشرق مهد الحضارة غير أن هذه العودة تتوج بالشهادة العليا التي أبحر من اجلها .

إن النسخة التي بحوزتي والتي اعتمدتها في دراستي هي من مطبعة دار الآداب البيروتية ويتضمن وجه الخلاف الخارجي فيها مشهدا رومنسيا , وهي صورة موحية تعكس ثلاث لوحات أو مشاهد فنية تهيئ القارئ وتبعث لديه الرغبة المشوقة للانتقال إلى عين المكان والمكان هنا فضاء واسع يتمثل في شارع مفتوح على نهر السين يحتضن في إحدى مقاهيه شاب اسمر شرقي وفتاة شقراء من الغرب في جلسة حميمية .

---

(1)سهيل ادريس "الحي اللاتيني" ص (5 – 111)

(2) سهيل ادريس "الحي اللاتيني" ص (115 – 203)

(3)سهيل ادريس "الحي اللاتيني" ص (207 – 282)

وقد نالت الرواية شرف الطبع في مطبعة الآداب التي دأبت على نشر مجلة الآداب البيروتية الشهيرة التي هيأت لشباب ذلك الجيل أسباب نشر أعمالهم الحدثية وإبداعاتهم التجديدية بما يضمن لها النجاح والذيوع والانتشار الذي يفوق حدود الانبهار وقد حققت رقما من النسخ على مستوى الوطن العربي فاق كل التصورات وهو يعكس بطبيعة الحال مدى جودة الرواية وتفوقها , وشغف القارئ العربي للظفر بتا .

ويعكس وجه الغلاف الخارجي للكتاب الذي تقصدنا إدراج نسخة منه في الدراسة جملة من التقييمات جاءت بقلم مجموعة من النقاد دوي المستويات الرفيعة وهي جملة آراء نقدية وانطباعات تقييمية تهيب بعمل الكاتب وتشيد بالمستوى الفني للرواية وهي في كل الحالات مدح وإطراء.

أما بخصوص العناصر القصصية في المتن السردي ,فتظهر الرواية علاقة الشرق بالغرب ويستدعي الموقف هنا المرأة كعنصر ضروري وكحاجة ملحة لضمان التواصل . وهي تمثل الرمز البشري الذي يحدد طبيعة التواصل الحضاري . (1) ولابد من الإشارة إلى أن المرأة في الأدب الوجودي مدعوة لتوطيد علاقة التعايش بين الأنا والآخر وقد جاء وضع هذه العلاقة على المحك بغرض التثبت مما ستفضي إليه .وهي في الغالب الأعم عرضة للتصدعات التي لا تسمح لها بالصمود طويلا ,أما مصير العلاقة هنا بين الأنا والآخر , وانطلاقا من منظورها الفلسفي الوجودي فهذا ما يخبرنا عنه المتن الحكائي المستهل بعملية تقديم لإبطال الرواية في شخصياتها المحورية يتقدمها البطل ورفقاء دربه في رحلة تتجه بهم عبر البحر إلى الأفق الآخر (فرنسا) . والهدف هنا هو إبحار في عالم العلم والمعرفة والتدرج في المكانة عن طريق نيل الشهادة التي قد تكشف في النهاية عن سر تقدم الغرب وتخلف الشرق .

---

(1)- **Helene nahas « la femme dans la littérature existentielle » presses universitaires de France – paris 1957 .p 5 .**

تأتي بعد الاستقرار مرحلة الانطلاق في رحاب الحرية في رحلة البحث عن الرفيق والأنيس والجليس الذي يفك البطل من العزلة القاتلة وينتشله من الوحدة الموحشة. ظمأ وتعطش ولا شك أن الأنثى هنا تشكل المأوى والملاذ لمن كان شابا يقاوم شدة وطأة الاغتراب .

فبعد أيام من العزلة كان فيها البطل منشغلا باسترجاع ذكريات الماضي الذي عاش فيه مكبلا بالقيود الصارمة , هاهو اليوم يعيش في أحضان باريس ويحس بالإخفاق رغم كل ما توفره له البيئة من ظروف الحرية والانعتاق والتمرد والانطلاق .

إن الأمر الذي كان يظنه البطل سهلا بدا له الآن صعب المنال فهاهو يفشل في عملية التواصل العاطفي التي تستهولي الشباب الذين يجربون حظوظهم في الظفر بالفتاة الشقراء , وان ما كان يراوده من أفكار في الأمس ما هو إلا وهم من نسج الخيال .

إن الشخصيات المحورية أو الأبطال الثلاثة في الرواية هم البطل وعدنان وصبحي يشتركون في هذه الرحلة ويغادرون عالما معروفا بشدة حرصه على أصالته ومعالم حضارته ومتخوف من انفتاحه وتجاذبه مع عالم يكثر فيه الحس بالجانب المادي المليء بكل ما هومغري .

إن الشخصية المحورية ذات الحركية والفاعلية هي خصية البطل الذي شاءت الأقدار أن يستقر به المقام في الحي اللاتيني وهو موقف صعب ووجود يستدعي الصبر والثبات انه امتحان لفتى قدم من بيئة تقليدية محافظة فهل يصمد وهل يثبت أم يتهاوى ويستسلم ؟ ذلك ما تخبرنا به الرواية حين تشرف على النهاية. فالعلاقة التي ضمنت الدفء والحب والاستئناس كان مآلها الفشل وغدت في نهايتها مأساوية وكأني بالكاتب قد بلغ مرحلة الاقتناع بان الشرق شرق والغرب غرب , وأنهما أبدا خطان متوازيان لا يلتقيان .

بعد انزواء في الحجرة بالفندق , وفي أعقاب حديث طويل مع النفس فيه اخذ ورد حول موضوع الحرية والانعتاق ومطاردة الفتيات في القاعات والأرصفة واستحضار الماضي وعلاقة الفتى بفتيات الشرق قرر أن يخوض غمار رحلة الانطلاق بحثا عن الحب والجنس

مستبيحا كل ما كان محرما وهو موقف يكرر ما نجده عند البطل إدريس في رواية " أوراق " لعبد الله عروي وبطل السودان الطيب صالح في " موسم الهجرة إلى الشمال " الذي تحدوه الرغبة الحادة في الانتقام جنسيا من انجلترا التي استوطنت بلاده استعماريا .

إن الفعل الوجودي هنا يجسد رغبة الهروب من عالم غارق في التقليد والمحافظة إلى عالم يتيح فرص المتعة والإحساس بلذة الحرية والانعتاق وهنا يدخل عنصر المرأة كشرط لازم للفعل يحركه الحس الوجودي ويدخل البطل في عملية موازنة فكرية وخيالية وحسية بين جنسين متباينين . فتاة شرقية معقدة خائفة وحياة تبعث على الاشمئزاز والغثيان وهي أحاسيس تحيل مباشرة إلى جملة من الأمراض النفسية كالخوف والكبت والانطواء والشذوذ والخيال المريض.وينتهي بعد أيام مسلسل الحياة اللاهية العابثة الماجنة بتعرف البطل على فتاة شابة شقراء من إقليم الالزاس تقيم بنفس الفندق الذي يقيم فيه ويبدآن معا نسج خيوط التعارف وتهيئة المجال لظروف التواصل والاتصال حتى صارت ابتسامة الجوار حديثا طويلا وجلسات وحوار فتوطدت العلاقة بالصدق والاحترام حتى أصبح لا يطيق احدهما الابتعاد عن الآخر وبعدما امضيا معا أياما سعيدة بين مسارح باريس وقاعات السينما والمطاعم والمقاهي والمراقص والملاهي .

وقد نالت الفتاة الشقراء إعجاب أصدقاء البطل الذين عبروا له عن إثارتها وجاذبيتها وفتنتها الساحرة , وكذلك كان الشأن بالنسبة لفؤاد الذي تعلق بفرانسواز. كل هذه العلاقات تقف خلفها أسباب وتستدعيها دواعي إلا انه محكوم عليها بالفشل وذلك بحسب النوايا والأهداف والمقاصد فمنهم من يتصرف بموجب الانتقام من جنس بشري ظالم مستبد يسلب حقوق الغير ويستعمرهم , وهو مدعو إلى إحداث قاطعة مبررة بهدف السعي إلى ممارسة قضايا النضال القومي والنشاط السياسي كما هو الشأن بالنسبة لفؤاد .

إن الاستقرار في بيئة الغرب مهددة حتما ودوما بنداء زيارة الأهل أو العودة إلى الأصل بفعل انتهاء مدة الإقامة وهذا ما سبب الماسي لجانين التي تتكبد دوما آلام الفراق وتدرك من حين للآخر أن علاقتها بالفتى الشرقي مهددة بالنهاية بالقطيعة والواقع يجسد في النهاية في الم واضح التباين والتفاوت الموجود بين الشرق والغرب ورغم ذلك فهي تنتصر في قرارة

نفسها وعن قناعة نابعة من أعماقها أن ثورة العربي على بلدها فرنسا الاستعمارية واقع لا مفر منه فتقاوم في صبر وثبات الم فراق حبيبها .

وفي محاولة يائسة لانقاد الحب الضائع تراسل جانين حبيبها مذكرة إياه أنها تحمل في بطنها جنينا له , وان عليه أن يحسم الأمر باختياره بكل مسؤولية والتزام .

وأثناء عودته إلى شرقه واستقراره بين أهله ودويه وتحت تأثير أخته وأمه تراود البطل شكوك حول الجنين حتى يخيل إليه انه قد يكون ثمرة علاقة مشبوهة مع الآخرين وأولهم اونري وأمام هذا الامتحان الصعب يقرر عدم الاعتراف وتقرر هي الأخرى الأقدام على فعل إجهاض الجنين رغم في ذلك الإقدام على هذا الفعل المشين من مخاطر صحية وآلام نفسية تسوء على إثرها أحوال جانين فتعاني من شدة الفقر وقسوة القهر في غياب المعيل والافتقار إلى الشهادة التي تضمن المنصب وتؤمن الدخل . وبعد الفشل الذي مني به البطل إزاء موقف يتسم بعدم احترام مبدأ الحرية في الاختيار والالتزام بالمسؤولية , ظل البطل على مدى أيام وشهور تعانقه مذكرات جانين التي صورت نفسها عائقا في طريقها يحد من طموحه في الظفر بالشهادة أما هي فعزاؤها الوحيد هو أن حبها كان صادقا أبديا انطوت بعده على نفسها لمعانقة أفكار سارتر واستوت في انزوائها شخصية وجودية تبحث في مصير الإنسان بعد فقدان القيم والمعايير .

يختتم البطل سامي الرواية بأمنية يرجو ان تتحقق عند عودته الى ارض الوطن قائلا لصديقه فؤاد : "ان علينا ان نعمل يدا واحدة يا فؤاد , وكم يسعدني ان نعمل معا يوم نعود , ان هذا يسعدني ايضا يا عزيزي . ولكنك انت في بيروت , وانا في دمشق , وسيعمل كل منا في ميدانه , لست ادري ما الذي سأعمله يوم ارجع , ولكني احسب اني سأدخل الحزب الذي يعبر عن نزعاتنا وأمانينا " (1)

---

(1)- سهيل ادريس "الحي اللاتيني" ص 250 .

اثر الوجودية في روايات سهيل ادريس

3)- رواية اصابعنا التي تحترق :

تمثل هذه الرواية الحلقة الاخيرة التي اكتملت بها ثلاثية سهيل ادريس , اذ كانت شهادة الدكتوراه التي حملها من باريس بمثابة الحافز الذي يستفزه للعودة ليشرع في خوض مرحلة جديدة وحياة مليئة بالنضال السياسي .(1)

انها رواية تبرز دور المثقف الواعي الملتزم بقضايا قومه ووطنه , المثقف الثائر الذي يؤمن بالتغيير والتحرر من اسر الماضي , غير ان البطل هنا يرفض اي شكل من اشكال الانتماء الحزبي الذي يحد من حريته قائلا :"لن ادخل اي حزب , سواء كنت اؤيده ام انكره لا ليس ذلك بالموقف المسبق , انه مبدأ ضميري , ان اي التزام حزبي , مهدد لحريتي , حرية فكري وأدبي , وأنا اصر على ان احتفظ بحريتي كاملة." (2)

ان هذا الموقف وجودي ينقلنا الى اجواء سيمون دوبوفوار في رواية المثقفون . (3)

وتنال اصداء الوجودية في رواية "اصابعنا التي تحترق" حظها الاوفر بحيث تتجلى فيها مواقف عدة , تذكرنا بالأفكار التي راجت عند الوجوديين الكبار في كتاباتهم الروائية .

---

(1)- جورج ازوط "سهيل ادريس في قصصه ومواقفه" دار الآداب ط1 , 1989 .

(2)- سهيل ادريس "اصبعنا التي تحترق" ص 66 .

وانظر ايضا راي سهيل ادريس عن الاحزاب في مجلة الآداب , الادب والسياسة مجلة 15 , العدد 4 سنة 1977 ص 2 – 3 .

(3)- سيمون دو بوفوار "المثقفون" .

لقد اسس سهيل ادريس بعد عودته الى لبنان مجلة الآداب البيروتية التي كانت منبرا للفكر الحر , وقبلة للادباء والنخبة المثقفة في لبنان وغيره من البلدان العربية .

ان هذا الحدث الثقافي المتحمس لاشاعة الفكر الحر جعل بعض النقاد ينظرون الى سهيل ادريس على انه يمثل وكيلا حصريا لثقافة الانحلال ومنهم من وصفه بالعدو للبشرية , اما بعضهم الآخر فقد اتهمه بالنرجسية وحب الذات .

وقف سهيل ادريس من خلال شخصية بطله سامي وقفة حزم مع القضايا التي تخص مصير لبنان والوطن العربي . وصرخ في وجه من ارادوا فصل لبنان عن الامة العربية .

هذه كلها مواقف تعيد الى اذهاننا بعضا من صور النضال التي خاضها سارتر في سيرة حياته الكلمات من اجل الحرية والديمقراطية .

يؤمن سامي بدور الكاتب الفاعل والمساهم في معالجة القضايا المصيرية للامة ولكن يشترط في كل ذلك ان تكون الديمقراطية مرتبطة بالحرية و الوعي .

ومما يلاحظ على سهيل ادريس في رواية اصابعنا التي تحترق انها في بعض فصولها تتشظى وتغدوا شتاتا في زحمة تدفق الافكار وكثرة التنظيرات , وتشابك الشخصيات .

يضاف الى ذلك ما خاض فيه من موازنة بين نوع المراة التي يطمئن اليها . ولذلك نجد شخصية الهام راضي قد استفردت بالرواية في جزئها الثاني , بالشكل الذي يشبر بوضوح الى انها تمثل النموذج الامثل الذي يجمع بين الانفتاح مع المحافظة على الخصال الشرقية ولذلك نجده يفضلها زوجة على رفيقة شاكر المتحررة رغم انها اديبة ومثقفة .

وكذلك الشان في الموقف نفسه من الاديبتين عبلة سلطان , وسلمى العكاوي , وفي هذا شبه كبير بما نجده عند سارتر من ان الشخصية موجودة دائما حيال الغير , محاطة بوجود غيري كيفما اتجه وحيثما كان , والغيرية هنا هي احد ابواب الفلسفة الوجودية الحديثة التي تهتم بتحديد وضع الانسان كائنا في المجتمع .(1)

ومما ينبغي ان نخلص اليه في رواية "اصابعنا التي تحترق" انها تعيد الى اذهاننا صور النضال التي خاضها سارتر في العديد من الجبهات وامام كثير من القضايا العالمية ذات البعد الانساني .

وينتهي بنا المطاف الى صورة سيمون دوبوفوار التي ظلت ملازمة لسارتر , مجسدة في كل ابعادها في شخصية الهام راضي , التي تنزع هي الاخرى منزعا تحرريا يغذي في البطل سامي تلك النرجسية والرغبة التحررية الحادة .(2)

---

(1)- j.p sartre – « qu’est ce que la littérature ? » p 89 .

(2)- انظر في هذا : قيمة الانسان الفرد في قومه وانسانيته - كمال الحاج "القومية والانسانية" ص 97 .

وانظر ايضا سهيل ادريس "في معترك القومية والحرية " ص 144

وانظر ايضا غالي شكري "ازمة الجنس" ص 178 .

الفصل الخامس

ان ادب "السيرة" « L’autobiographie » ادب قديم قدم الانسان في الشعر والفلسفة , والفكر والأديان عند العرب والإغريق والرومان والغرب والشرق بشكل عام . فهي بمثابة اعادة بناء سيرة حياة عن طريق الوعي بأثر رجعي يمتد بالذاكرة من الحاضر الى الخلف منذ ان كانت الكلمات تدل على الاشياء دلالة يحفها الشك , ويلفها الغموض , ويحجبها ضباب تجارب الطفولة الفتية التي تفتقر الى النضج وتحتاج الى اليقين .

ومما ينبغي ان يتوفر لديها من مقومات فنية انها تستدعي الحيادية , وتقتضي الموضوعية, والنأي عن الصنعة , والابتعاد عن التكلف وعدم الغلو . غير انها لا تخلو من لمسة الفن ادبا وتعبيرا وتصويرا , وتقليبا للفكرة على مختلف اوجهها الى الحد الذي تخرج فيه الصورة في ابهى خطوطها ورسومها , وتبلغ من التأنق والتآلف كامل جوانبها وكل ذلك لا يكون إلا بإعمال الفكر وطول البال وإطالة النظر .

فالسيرة بحث عن الذات في الوجود في حدود الزمان والمكان بنظرة واقعية ثاقبة الى الوقائع والأحداث وكلما احاط بالشخصية الواعية في الحياة عبر مراحل التدرج في النمو, ومحطات التوثب عبر الزمن .

فالسيرة هي كتابة قصة الحياة عن طريق البحث عن اطوار رحلة الوجود وهي من حيث القيمة الادبية شبيهة بلوحة بيد فنان مرتعشة ترسم صورا لأفكار هاربة , تستعيدها من الذكريات , وتنتشلها من شتات الكلمات فتتعدد اشكالها بتبدل احوالها .

فكيف السبيل اذا الى البحث عن افكار متذبذبة وصور مضطربة وحوادث متقلبة في ذكريات ابية مستعصية شبه منسية .

واذا كانت الوجودية ادراك للذات ووعيها لمعنى الحياة ما بين الوجود والعدم . والبحث الوجودي في مشكلات الانسان , من اجل ايجاد حلول لأزماته المعاصرة التي تخلى فيها عن انسانيته بفعل التطور التكنولوجي الذي صيره عبدا لآلته وجعله امتدادا لها فأصبح يعاني من القلق واليأس والتشاؤم والاغتراب (1) والموت والدمار . فلا غروة اذا اننا نجد من الباحثين والمفكرين من يعتبر آدم اول من ارسى دعائم الفكر الفلسفي الوجودي في العالم .(2)

"ان الاشكالية الاساسية للسيرة الذاتية تكمن حقا في التعريف , فبقدر ما يتوضح هذا التعريف في ذهن القارىء بناء على خصائص مستقاة من النص واحيانا من النصوص الموازية له يصبح الدخول الى النص القائم على السرد المحكي الذاتي امرا ممكنا من باب استكناه آلية اشتغال مكوناته اللغوية والتركيبية والدهنية وسواها ولذلك فان (الميثاق التلفظي) في الواقع هو الذي يميز السيرة الذاتية عن باقي الاجناس الاخرى ."(3)

ومهما يكن من امر فان السيرة هي بمثابة اعلان عن ميلاد جديد في تاريخ ادب المبدعين وهو يضاف كشمعة اخرى في دروب السالكين .

فاذا كانت الرواية قد مرت بمراحل بحيث نجد فيها التقليدية والحديثة والجديدة وهي مسارات تستند فيها كل مرحلة الى خصوصيات فنية وقيم جمالية فان الرواية الحديثة بنية فنية دالة وتشكيلها الفني يجسد لرؤية وثوقية للعالم وهي ايضا فوق كل ذلك بناء من القيم يشيد بواسطة اللغة غير ان هذا البناء بمعاييره الفنية والجمالية يبقى ذائما عرضة للخلخلة بحسب عوامل وظروف كل مرحلة .

---

(1)- انظر "الكبار يضحكون ايضا" دار الشروق القاهرة- مصر – ط1 / 2004 ص 579 .

(2)- يحي هويدي "قصة الفلسفة الغربية" دار الثقافة للنشر والتوزيع – القاهرة – مصر 1993 . ص 121 .

وانظر ايضا محمد زكريا توفيق .الحوار المتمدن – العدد 2888 – جانفي 2010 .

(3)- د/ شكري عزيز الماضي – انماط الرواية العربية الجديدة – عالم المعرفة العدد 355 / سبتمبر 2008 – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب دولة الكويت. ص 14.

هذه العوامل وغيرها هيأت المناخ الملائم للتمرد على الجماليات الروائية المألوفة , وإبداع شكل روائي جديد بعناصره وبنائه وتفاعلاته الذاتية والموضوعية وفلسفته وقيمه الفنية التي يسعى الى تجسيدها . فهذه التجارب الرواية الجديدة تستند على الرغم من التعدد والتباين فيما بينها الى مفهوم جديد للرواية والفن عموما ولجماليات التلقي و وللعلاقة بين المتخيل والواقعي والأدب والواقع .(1)

---

(1)- المرجع نفسه ص 14 وما بعدها

وانظر ايضا الغلاف الخارجي للكتاب .

عبد الرحمن بدوي (1917 – 2002)

عبد الرحمن بدوي فيلسوف مصري ذو شان عظيم من منظور اهل الثقافة والفكر , ووجه من وجوه المعرفة الذين اشتهروا بالفلسفة , وقطب من اقطابها المعدودين على مستوى مصر والوطن العربي . مشهود له بالنبوغ الفكري والتفوق العلمي والنشاط المعرفي والنزوع الفلسفي . ذلك ما شهد له به الدكتور طه حسين اثناء مناقشته له موضوع رسالة الدكتوراه "الموت في الزمن الوجودي" حين قال : "اشهد فيلسوفا مصريا للمرة الأولى" وهناك من المنشغلين بالفلسفة من يعده اول فيلسوف عربي وجودي . (1)

تذكر بعض المصادر ان عبد الرحمن بدوي يستوي الابن الخامس عشر في سلسلة من الاشقاء والشقيقات بلغت الواحد والعشرين فردا وهو ابن احد الوجهاء والاثرياء في مصر .

اكد عبد الرحمن بدوي تفوقه العلمي منذ شبابه المبكر بحصوله على الترتيب الثاني على مستوى مصر في شهادة الباكالوريا في مدرسة السعيدية بالجيزة التي كانت قبلة ابناء الاثرياء من الاعيان والوجهاء .(2)

في سنة 1934 التحق بقسم الفلسفة , بكلية الآداب بجامعة القاهرة وفي هذه الاثناء ارسل في بعثة الى المانيا والنمسا .

في سنة 1937 عاد الى القاهرة , وبعد سنة تحصل على شهادة ليسانس بدرجة امتياز في الفلسفة .

---

(1)- انظر د/ سعيد اللاوندي , "بدوي فيلسوف الوجودية الهارب الى الاسلام "

(2)- عبد الحليم عطية , "دراسات عربية حول عبد الرحمن بدوي" سنة 2002 .

عين بعد ذلك معيدا في جامعة القاهرة , ثم تحصل على شهادة الماجستير ثم الدكتوراه من الجامعة نفسها . عين على اثرها مدرسا بقسم الفلسفة سنة 1945 ثم صار بعد ذلك استاذا مساعدا في القسم نفسه , وفي سنة 1950 توجه الى جامعة عين شمس وانشأ بها قسم الفلسفة في كلية الآداب , وفي المرحلة الممتدة من سنة 1956 الى 1958 عين مستشارا ثقافيا ومديرا للبعثة التعليمية في برن بسويسرا , وبعد ذلك صار استاذ كرسي سنة 1959 .

ولما كان صاحب نشاطا سياسي وعلمي , اسندت له عدة مهام وشغل عدة مناصب وزار العديد من الجامعات بحيث اشتغل استاذا زائرا في لبنان وانتقل منه الى السوربون في باريس بمعهد الدراسات الاسلامية , ثم غادر الى الجامهة الليبية في بنغازي ما بين سنة 1973 وسنة 1974 , ومنها شد الرحال الى طهران (1974 – 1982) شغل بعد ذلك منصب استاذ الفلسفة المعاصرة في كلية الآداب بجامعة الكويت ومنها غادر الى فرنسا وبقي هناك .(1)

هو احد اعضاء حزب مصر الفتاة من 1938 الى 1940 , واحد اعضاء اللجنة المركزية لحزب الوطني الجديد (1944 – 1952) .

عضو بارز في لجنة كتابة الدستور الجديد الذي اهمل واستبدل بدستور 1956 .

وقد خلف الدكتور عبد الرحمن بدوي رصيدا ضخما من الكتب تفوق المائة والخمسين بل تفوق بحسب مصادر اخرى وتبلغ المائتين ومن بينها اعمال كثيرة نشرت بلغات عدة كالألمانية والفرنسية والاسبانية والانجليزية فضلا عن العربية .

---

(1)- عبد الفادر بن محمد الغامدي , "عبد الرحمن بدوي ومذهبه الفلسفي , ومنهجه في دراسة المذاهب" 2008 .

احدثت مذكرات عبد الرحمن بدوي-التي نشرتها له المؤسسة العربية للدراسات والنشر- ردود افعال متباينة في اوساط المثقفين في مصر نتيجة تضمنها لمواقف تنم عن جرأة غير معهودة , كمهاجمته بمنتهى الصراحة لرموز نظام الراحل جمال عبد الناصر وحكمه كما ابدى دون ادنى تحفظ موقفا عدائيا لثورة يوليو التي الحقت في نظره اذى كبيرا بالمصريين كما انه ولجرأته لم يتورع عن وصف الشعب المصري بأنه شعب يهوى المشي في الجنازات ولم ينج ممن اتهمهم بالعمالة للأجهزة الامنية حتى الدكتور طه حسين كما اعتبر الطلاب المحظوظين , وذوي الامتيازات الخاصة بالجواسيس لأجهزة المخابرات .

ظل د/ عبد الرحمن بدوي في نهاية أيام حياته مقيما بفرنسا حتى وجد ذات يوم في احد شوارع باريس مغشيا عليه الى ان اسعفه طبيب فرنسي , واتصل بالقنصلية المصرية مخبرا اياه بان امامه رجل مصري يقول انه فيلسوف في انتظار مساعدتهم .

عاد الى القاهرة في عام 2002 الى ان وافته المنية عن عمر يناهز 85 سنة , في مستشفى ناصر بالقاهرة .

ملاحظة :

تؤكد جميع المصادر والدراسات التي تناولت فكر عبد الرحمن بدوي ومذهبه الفلسفي ومنهجه في دراسة المذاهب على انه فيلسوف عربي وجودي بدون منازع . فقد ثبت بالدليل القاطع بأنه متأثر ايما تأثر بالفكر الفلسفي الوجودي الاوروبي وخاصة بفكر"مارتن هيدجر" و "سارتر" و" كامو" . ذلك ما يقر به هو نفسه في كثير من المواضع وخاصة في كتابه "سيرة حياتي" . اذ يعطي لنفسه التقدمة بحيث يعده اديبا لا فيلسوفا .

اثر الوجودية في سيرة حياتي

لعبد الرحمن بدوي

جاء عبد الرحمن بدوي الى الحياة في نهاية الحرب العالمية الاولى وكان وجوده على حسب قناعته بمحض الصدفة : بلا ترتيب او عناية او غاية , وذلك ما يشير اليه في مستهل حديثه عن سيرة حياته : "بالصدفة اتيت الى هذا العالم , وبالصدفة سأغادر هذا العالم ." (1)

كان بدوي يحي حياته في قرية تولى فيها والده منصب العمدية خلفا لأبيه في سنة 1905 , وقد عرف اهل هذه القرية (شرباص) بالسماحة , ودماثة الاخلاق والميل الى الطابع السلمي والاحتكام الى القانون , غير انها لم تكن تخلو من الصراع على السلطة بين الاسر , كما كان الصراع عليها بين الاحزاب في مصر . وتقع (شرباص) ما بين (المنصورة) الى (دمياط) في الشمال الشرقي من (دلتا النيل) (2) .

وقد اشترى والده حوالي خمسمائة فدان من شركة النيل الزراعية (3) .بحيث كانت تتم عملية انتقال الملكية الى المصريين بطريقة شرعية قانونية لا يظلم فيها احد (4)

اما النهج الذي اتبعته ثورة يوليو فهو مخالف تماما . فقد نهبت واغتصبت الاراضي بالمصادرة والحراسة والظلم الفادح الذي ليس بعده ظلم (5) وشتان ما بين عهد شركة النيل الزراعية وبين هيئة الاصلاح الزراعي التي جعلت كل شيء عرضة للضياع والتسيب .وهذا يبين بجلاء ووضوح موقفه منها .

---

(1)- عبد الرحمن "سيرة حياتي" ج1 – ص5

(2)- م ن – ج1 – ص 6 .

(3)- م ن – ج1 – ص 8 .

(4)- م ن – ج1 – ص 8 .

(5)- م ن – ج1 – ص 8 .

وقد كان عبد الرحمن بدوي حريصا على الافاضة في هذه النقطة اقرارا بالفضل , وعرفانا بالجميل لشركة النيل الزراعية من جهة , و دحضا لأجهزة الدجل والتحريض والاتجار بالشعارات الجوفاء , التي حاولت من خلالها ثورة يوليو طمس كثير من الحقائق في مجال خدمة الزراعة ومصادرة ملكية اهل الاراضي (1)

وهذه الفترة تمثل عصر اللبنانيين المسيحيين الزاهر في مصر , الذين يعود اليهم الفضل في اشاعة جو متحضر شبه اوروبي في قرية الكاتب وما حولها بنفس الاساليب التي كانت تدار بها الضياع في فرنسا وبلجيكا لمعرفتهم باللغة الفرنسية التي مكنتهم من ان يكونو وسطاء بين هذين البلدين وأهالي مصر (2)

ويلي هذا الفصل وصف لجمال طبيعة (شرباص) الصامتة والمتحركة التي امضى في ربوعها فترة شبابه , من الميلاد الى ان بلغ سن العشرين من عمره .فنشا في وسط الفلاحين وكان مولعا منذ نعومة اظفاره بالعمل مع المزارعين . وقد شغلت مادة هذا الوصف حيزا طال صفحتين : (من ص 10 الى ص 11)

اما الفقرة التي تليها فتدور حول ما شاع على السنة المصريين من الفاظ ايطالية لسبب يحصره بدوي في ان المنطقة هي منطقة تجارية يكثرفيها صيادو الاسماك الايطاليون وكذلك بسبب وجود جالية ايطالية كبيرة في بور سعيد .(3)

---

(1)- عبد الرحمن بدوي "سيرة حياتي " ج1 – ص 9

(2)- م ن ج1 – ص 9

م ن ج1 – ص من 12 الى 14 .

هذا ويتساؤل في الوقت نفسه عن علة غياب الالفاظ الفرنسية على العامية عند المصريين قائلا : "وكان حريا باللغة الفرنسية ان تكون ذات نصيب في الالفاظ الاجنبية في اللهجة المصرية بسبب الغزوات الصليبية التي اعقبتها بعثة فرقة من جيش نابوليون ابان الحملة الى دمياط استقرت في قرية البرج على شاطئ البحر الابيض وعلى مسافة ستة عشرة كيلومتر شمالي دمياط .(1)

وفي الجزء الذي يليه يصب عبد الرحمن بدوي جام غضبه على ثورة يوليو 1952 التي فتحت المجال واسعا لقانون التأميم الذي كان بمثابة تعميم الفقر وتجريد الناس من أراضيهم والقضاء على المنتوج الزراعي في نهاية المطاف . فتحول الكل الى فقراء معوزين , وتالب الناس بعضهم على بعض , فصارت الوشاية والوقيعة بين الناس هي اليد العليا . (2) وقد حل بالقرية محل مديح النبي والأعيان – مديح (الطاغوت وزبانية الاشرار) (3)

كان بدوي محبا للموسيقى مولعا بالسماع لآلاتها المختلفة التي يستعملها المداحون , وخاصة منها آلة الناي السلمية التي اقتنى واحدة منها واخذ يتعلم النفخ فيها , ولكن ضعف نفسه حال دون ذلك (4) وعن طفولته يقول : "في هذا المحيط المتسم بالبراءة والنظارة امضيت السنوات السبع من عمري" (5) .

وغرس في نفسه منذ الطفولة حب الارض الزراعية التي كان لها الاثر البالغ في توجيه تصرفاته المستقبلية حيث جمع المال ليكون احد ملاكي الاراضي الزراعية قبل ان تبتلى مصر بما سمي "الاصلاح الزراعي " ابتداء من سنة 1952 .

---

(1)- عبد الرحمن بدوي "سيرة حياتي" ج1 ص 14 – 15 .

(2)- م ن ج1 ص 16 .

(3)- م ن ج1 ص 21 .

(4)- م ن ج1 ص 21 .

(5)- م ن ج1 ص 22 .

كان عبد الرحمن بدوي مولعا بدراسة الفلسفة وقد فضلها على الادب بعبارة فيها مقابلة وموازنة في قوله . وبعد حصوله على الليسانس في مايو 1938 كان عليه ان يسجل موضوع رسالته في الماجستير فاختار "مشكلة الموت في الفلسفة الوجودية" ولما عرضه على استاذه "لالاند" نصحه بالعدول عنه قائلا : "لا تثق ابدا بالبدع " اي الموضة السائدة اشارة منه الى الوجودية التي عرفت انتشارا في الثلاثينات بشكل واسع على نحو غزت فيه ميدان الفلسفة شيئا فشيئا على يد "مارتن هيدجر" و "كارل يسبرس" ومخافة ان يثير حفيظة استاذه "لالاند" الذي نصحه بالابتعاد عنه قرر تعديله ليصبح "مشكلة الموت في الفلسفة المعاصرة" .

ويشير بدوي الى فضل "لالاند" عليه وتأثيره فيه بقوله : "اي تاثير كان للالاند علي ؟ بث النزعة العقلية في تفكيري , وتوجيه عنايتي الى مناهج البحث العلمي , والى الحرص على الدقة في تعريف المصطلحات الفلسفية , ولا عجب فهو صاحب اهم معجم فلسفي " (1)

ويستمر في اظهار ما كان لاستاذه لالاند عليه من افكار فيقول : "لقد كان تتلمذي على لالاند نعمة لا استطيع ابدا نسيانها , ولا وفاءها حقها من الشكر وعرفان الجميل " (2)

ثم يظهر ما كان لكويريه عليه من فضل قائلا : "كذلك كان لكويريه علي فضل عظيم لانه كان يجمع بين النزعة الميتافيزيقية والنزعة العلمية , وكان يهتم بالتيارات الصوفية ...قدر اهتمامه بتاريخ العلم الحديث ." (3) وله انتاج غزير في هذه الميادين .وفيها يحاول ان يربط بين النظرة الصوفية للكون وبين النظرة العلمية له , ومن ذلك ما يراه مثلا ان قول الصوفية الالمان في القرن السادس عشر , بان الكون لانهائي , هو الذي اقتضى من الفزيائيين ان يتصوروا الكون لانهائيا .(4)

---

(1)- عبد الرحمن بدوي "سيرة حياتي" ج1 ص 63 .

(2)- م ن – ص ن .

(3)- م ن – ص 74 .

(4)- م ن – ص ن

ويستمر في تبيين ما كان للأستاذ كوريبه عليه من افضال فيقول : "ويعود الى كوريبه الفضل ايضا في تفهيمه مذهب الظاهريات وتوجيهه في ميدان الفلسفة الوجودية , التي كان على علم دقيق بها , ذلك لأنه تتلمذ على هسرل مؤسس مذهب الظاهريات ".(1)

يقتفي عبد الرحمن بدوي آثار الوجودية في مضانها الفلسفية في فكر هيدجر وكامو وسارتر يجيد قراءتها , ويستوعب حقيقة مفاهيمها , وتعدد اتجاهاتها .هو يبحر في عالم الوجود , ويغوص في اعماقه لينتقي من جملة مذاهبه الفكرية الفلسفية ما يلاقي في نفسه ذلك الصدى الذي ينزع منزعا انسانيا فيتماهى معه ويتهادى به , ويستميت دفاعا عنه , بذهنية متوقدة , ذهنية الناقد الواعي المسلح بالحجج العقلية .

ومن يقرا سيرة عبد الرحمن بدوي يتحسس وعي الذات ويشرك نفسه في ادراك ابعاد حدودها في الوجود العيني . وقد يصاب بالدوار من يبحر معه في عمق العوالم الفلسفية بالفكر بحثا عن اجوبة مقنعة لأسئلة باتت تؤرق الانسان وتستنطق مكامن ذاته عبر سيرة حياته وزمان وجوده المحفوفة بالقلق والحيرة والخوف من المصير المجهول الذي تسوقه الصدف .

ان المتتبع لآثار "سيرة حياتي" للفيلسوف عبد الرحمن بدوي يجد نفسه محاطا بحقيقة واحدة تخيم على اجواء محطاتها المختلفة وتتردد عليه بإلحاح لتنقله الى تلك الاجواء التي تخيم على سيرة حياة سارتر في "الكلمات" les mots وكامو في رواية "الغريب" l’etranger وغيرها عند الفلاسفة الوجوديين , فالأثر هنا واضح بين يتجاوز الاشارة الخفيفة الى موطن هنا وآخر هناك ليحيل الى فكر بأكمله تحول الى ينبوع ثر يغذي فكر عبد الرحمن ويهيمن عليه , فواضح ان محاولة تلخيص سيرة حياة رجل اتسم نشاطه الفكري بالانسيابية والتدفق في الافكار والمعاني ضرب من التيه والضلال في عوالم فلسفية كثيرة التعقيدات والتشعبات بالشكل الذي تستعصي فيه على من لا زاد له في مجالاتها العقلية والعلمية والمعرفية الخصبة . ومع ذلك سنحاول ان نقتفي آثار الوجودية في فكر هذا الرجل من خلال سيرة حياته مبينين مواطنها في المضان الفلسفية عند كبار فلسفة الوجود .

---

(1)- عبد الرحمن بدوي "سيرة حياتي" ص 74 .

شرع عبد الرحمن بدوي منذ مراحل شبابه الاول في الاحتكاك بالفكر الفلسفي الغربي , واكتشف الوجودية الالمانية ممثلة في مارتن هيدجر , الذي قراه بوعي ووجد فيه ضالته منذ الوهلة الاولى . فاخذ ينتقي من فكر هيدجر ما يغذي فيه نزعة الوجود التي آمن بها ايما ايمان .وقد راودته من حينها فكرة التبشير بمشروعه الجديد . حين ادرك مدى حاجة العالم العربي الى مبادئها الانسانية . ولما آنس من نفسه القوة جهر بدعوته بجرأة منقطعة النظير(1) , فاخذ على عاتقه مهمة ارساء دعائم وجودية عربية . وقد تسلح لذلك بإرادة الفكر , وقوة العقل , وسعة العلم ورزانة الحلم . وانطلق يخوض تجربة الشعور بوجوده بشكل ديناميكي حي , وسعى جاهدا لإدراك اسرار وإبعاد ما يحيط بدأته في كل شيء , في العلم والفن والأدب والفلسفة والسياسة والبحث في الفكر الغربي ومقارنته بما هو في حوزة الانسان العربي من تراث .

فسمحت له نظرته الثاقبة , وبصيرته المتوقدة وروحه المتوثبة بإجراء المقارنة وإدراك ما بين حضارة الغرب والعرب من تفاوت وتباعد يقدر بمسافة زمنية هائلة .

تشبع بدوي بفكر هيدجر وتشرب خصائص الوجودية في البيئة الالمانية التي اسرته بجمالها وسحرته بتضاريسها ومناخها فأحبها وتعلق بها .

لقد تتلمذ على لالاند وعندما اقنعه بالابتعاد عن موضوع الماجستير , تشبث بفكرته ولجا الى حيلة عدم اظهار روح العناد وهو يرى انه على الفرد ان يناضل في حياته من اجل ان يحقق وجوده بنفسه فإدراك حرية الفرد في تقدير بدوي مرهونة بقدرته على تحدي العقبات وتجاوز الازمات , وتبديد خيوط الشك بعلم اليقين , فخلص الى نتيجة مفادها ان الحرص على الظفر بالحرية تقاس بمقدار ما لدى الفرد من الجرأة للجهر بها . ومن هنا كانت نصيحته لكل فيلسوف يريد ان يكون له شان ان يتسلح بالمنهج العلمي الدقيق .(2)

---

(1)- زكي نجيب محمود : "من زاوية فلسفية" و دار الشروق – القاهرة –مصر , ط 4 , 1993 ص 32 .

(2)- عبد الرحمن بدوي "مدخل جديد الى الفلسفة" مطبوعات الكويت , ط 1 , 1975 ص 22 .

عرف عبد الرحمن بدوي بالبساطة وعدم الاعتناء بالمظهر فلم يكن يعير ادنى اهتمام لهندامه بحسب ملاحظات مقربيه . فهذا انيس منصور يتحدث عنه واصفا اياه بالبوهيمي قائلا : "كانت له بدلة زرقاء ما عهدناه تخلى عنها يوما ولا ارتضى لها بديلا , ولم يكن ذلك فقرا وانما بخلا ." (1)

هذا ولسنا ندري ان كانت هذه الحال تنطلي على الكتاب عامة فما اكثر ما نجدهم شركاء في ذلك . فقد وصف محمد زفزاف ايضا بعدم الاكتراث بالهندام الى الحد الذي يجعله يبدو احيانا وكأنه عربيد متسكع .

ويؤكد بدوي على انسانية الحضارة بفكره الوجودي وعلى انها تراث مشترك بين امم الارض جميعا لا فضل فيها لجنس بشري على سواه . فهي محصلة نشاط شعوب وأجناس وأجيال متلاحقة لعصور وأزمنة متواصلة (2) .

حمل عبد الرحمن بدوي هموم المجتمع العربي المتخلف والممزق بالانقسامات , وظل على مدار حياته يجاهر بدعوته مناشدا جمهور الشباب من المثقفين داعيا اياهم الى ضرورة الاهتمام بالحضارة العربية من اجل ان يعود اليها مجدها الزاهر , الذي ضيعته بسباتها العميق طيلة قرون . ان عبد الرحمن بدوي ما فتئ يدعو الانسان العربي الى التأهب والاستعداد لاستلام المشعل من الغرب , لان حضارتهم التي بنيت على انقاض الحضارة العربية , آيلة الى الزوال ولن تتعدى حسب قناعته في ابعد حدودها آفاق الالفية الثالثة .

---

(1)- انيس منصور , "في صالون العقاد كانت لنا أيام " دار الشروق – القاهرة – ط 3 ,1993 ص 28 .

(2)- بنروبي : "مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا " ترجمة عبد الرحمن بدوي ج 1 مكتبة الانجلو المصرية , القاهرة 1964 ص 1 وما بعدها .

عبد الرحمن بدوي اديب وكاتب روائي وشاعر , كلف نفسه جهد استنطاق مكامن الذات وبعث الحياة من خلال الكلمات , وقد كتب روايتين اولاهما "هموم الشباب" : تتجلى في خباياها نزعة التمرد , والتحرر التي يطمح الى ان تصل الى شباب الاجيال الصاعدة في الامة العربية . وثانيتهما "الحور والنور" : التي تجلى له فيها بواسطة الحب النور الذي اضاء له الكون عندما تعلق قلبه بسلوى من لبنان .

خلف عبد الرحمن بدوي ديوان شعر بعنوان "مرآة نفسي" وقد اراد بذلك ان يؤسس لنمط جديد في الشعر يتضمن ايضا نزعته التحررية كتلك التي الفناها عند الشاعر الفرنسي بودلير . إلا ان عزوف الناس عن قراءة شعره بفعل ما راج في اوساط المسلمين من ان الوجودية دعوة الى العبث والإلحاد والابتعاد عن جادة الصواب , قد غيب قيمته في اوساط المثقفين كأديب شاعر .

ان عبد الرحمن بدوي الفيلسوف ابى إلا ان يظهر براعته في الكتابة الادبية شعرا ونثرا , فارتاد ميادين الفن كافة (1) .وذلك لشدة تاثره بفنون القول التي تشربها من منابع الفن الالماني عل يد فريديريش شلر F.Schiller (1759 -1805) .(2) وجيته Goethe(1749-1832) .واليهما يعود الفضل في اشاعة النموذج الفني العالمي والإنساني الذي يعنى بمشكلات الفرد التي تؤرق الذات الوجودية كاليأس والقلق والعبث والجحيم الذي يصنعه الآخرون Les autres .

---

(1)- وائل غالي , "دفاع عبد الرحمن بدوي عن الزمان" دار الثقافة للنشر والتوزيع , مصر 1997 ص 35 – 36 .

(2)- فريديريش شيلر , "اللصوص" ترجمة وتقديم عبد الرحمن بدوي , وزارة الاعلام الكويت 1981 ص 5 .

كان بدوي من جهة اخرى مولعا بالمسرح اليوناني (1) وفلسفته . فقد كان بترجمة العديد من نصوصه وقد خلص الى نتيجة اجمالية مفادها ان الادب الوجودي لم يرتق الى مستوى طموح الفلسفة الوجودية التي اساءت العامة فهمها نتيجة لجهلهم وعدم اتخاذهم للقراءة سبيلا للمعرفة الحقة (2) .

ومثلما كانت لبدوي وقفات مع الادب فقد اولى من جهة اخرى عناية خاصة الى النصوص التي تفتقر الى تحقيق منهجي وفقا لما يقتضيه المنهج العلمي الصحيح الذي يستدعي المقابلة بين المخطوطات , والمقارنة الجدية بغرض توثيق المعلومة بشكل صارم لا يدع مجالا للشك بالتسرع او اساءة الفهم (3).

يرى عبد الرحمن بدوي ان الانسان الكامل (4) الذي يسبح في ملكوت التصوف في الفكر الاسلامي يلتقي مع الانسان الوجودي الذي ينبثق من العدم لتحقيق ذاته بالتسامي . فالله اوجد الناس من العدم بالمحبة , والإنسان بدوره يسلك طريق التسامي نحو الكمال في عالم المثل فيصل الى الحقيقة المطلقة المتجلية في الذات الالهية .(5)

---

(1)- "تراجيديات سوفوكليس" ترجمة عبد الرحمن بدوي المؤسسة العر بية للدراسات والنشر . بيروت لبنان 1976 ص 7 وما بعدها .

(2)- عبد الرحمن بدوي "دراسات في الفلسفة الوجودية" المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع ,بيروت–لبنان 1980 ص 25 .

(3)- عبد الرحمن بدوي "النقد التاريخي" وكالة المطبوعات , الكويت , ط 4 – 1981 ص 14 وما بعدها .

(4)- عبد الرحمن بدوي "الانسان الكامل في الاسلام" وكالة المطبوعات , الكويت ط2 -1976 ص5 .

(5)- عبد الرحمن بدوي "شهيدة العشق الالهي " , رابعة العدوية , مكتبة النهضة المصرية – القاهرة ط2 – 1962 ص6

انا من اهوى ومن اهوى انا *** نحن روحان حللنا بدنا .**

يعتز عبد الرحمن بدوي بفلاسفة الاسلام ومنهم الحلاج, وابن سينا, وابن رشد '(1) وأبو حامد الغزالي الذين قرأ لهم وأعجب بمنهجهم في البحث عن الحقيقة , ولذلك وجد ذلك التشابه بين الانسان الكامل في فلسفة الوجود ونظيره عند فلاسفة الاسلام , وقد اشاذ بفكرهم المتجدد المدعم بعلم الكلام وعلى رأسهم ابو حامد الغزالي الذي جمع بين التصوف وعلم الكلام الا انه اتهم بالإلحاد عندما الف كتابه احياء علوم الدين .(2)

يشيد عبد الرحمن بدوي بما كان للمكتبة الوطنية بباريس من فضل عليه . فقد وجد فيها وفي اجوائها المحيطة بها المناخ المثالي الذي يحتضن الانسان الوجودي العاشق للبحث عن ذاته , التي لا تتحقق الا بالعلم ولا تتجسد الا من خلال المعاني التي تنبثق من الكلمات .

ويعبر عن ذلك الجو الساحر المغري بعشق الكتابة في معنى الوجود قائلا : "ومن هنا يتبين ما للمكتبة الوطنية بباريس – وفيها اكتب الآن ما اسطره هنا – من فضل عظيم على انتاجي العلمي . ولولاها لما استطعت انجاز ثلاثة ارباع اعمالي العلمية . انها مقصدي الاول من سفراتي السنوية الى باريس , والمكان الذي اقضي فيه معظم اوقاتي حين اكون في باريس"(3)

---

(1)- عبد الرحمن بدوي "الفلسفة والفلاسفة قي الحضارة العربية " المؤسسة العربية للدراسات والنشر , بيروت لبنان ط1 1987 ص 23 – 24 .

(2)- عبد الرحمن بدوي "فلسفة العصور الوسطى" وكالة المطبوعات , الكويت , ودار القلم بيروت , لبنان ط3 – 1979 ص 163 .

(3)- عبد الرحمن بدوي "سيرة حياتي" ج1 ص 207 .

وانظر جان بول سارتر Les mots - ترجمة خليل صابات ص 34 .

الفصل السادس

محمود المسعدي

(1911 - 2005)

ولد في سنة 1911 بقرية تدعى تازركة بمحافظة نابل بتونس (1), وعلى غرار سائر اقطار المغرب العربي التي جعل اهلها من الكتاب اول مكان يحتضن النشا عند تحضيره الى شق طريق العلم , كان ايضا للمسعدي موعدا له معه عند اول لقاء , فحفظ القرآن وانهى تعليمه الابتدائي بنفس القرية , اما الدراسة الثانوية فكانت في المعهد الصادق حيث انهاها في سنة 1993 .

التحق بكلية الآداب بجامعة السوربون حيث اعد رسالته الاولى في الماجستير حول "مدرسة ابي نواس الشعرية" التي انهاها سنة 1936 , اما رسالته الثانية في الدكتوراه فقد كانت حول "الايقاع في السجع العربي" وقد حالت الحرب العالمية الثانية دون اتمامها .

كان المسعدي مناضلا في صفوف الشباب ضد الاستعمار . وقد لعب دورا قياديا في العمل النقابي للمعلمين . واليه يعود الفضل في اقرار التعليم المجاني لكل طفل تونسي حين شغل منصب وزارة الشؤون الثقافية سنة 1976 .

تقلد فيما بعد منصب رئيس مجلس النواب التونسي . وهو فوق كل ذلك مثقف , نشط , وسياسي بارز . اشتغل ايضا كعضو في منظمة اليونسكو والالسكو , وعضو ايضا في مجمع اللغة العربية في الاردن .

اشرف على مجلة "المباحث" سنة 1944 و "الحياة الثقافية" سنة 1975 تنحصر اعماله في الفترة الممتدة من 1939 الى 1942 ويظهر فيها تاثره الواضح باسلوب القرآن الكريم فكرا وعقيدة وبالادب العربي القديم قيما جاد به التراث من مختارات وروائع .

يتميز اسلوبه بسعة الاطلاع على الادب الفرنسي بشكل خاص والىداب الغربية عموما .

---

(1)- د/ سمر روحي الفيصل "معجم الروائيين العرب" جروس بيرس , طرابلس لبنان , ط1 1995 ص 423 -424 .

وانظر ايضا نور الدين صمود "محمود المسعدي وكتابه السد" الدار التونسية للنشر – تونس 1983 .المقدمة .

من اعماله :

"حدث ابو هريرة قال " 1930 طبع عام 1973 وترجم الى الالمانية سنة 2009 .

"مولد النسيان" 1945 ترجمت الى الفرنسية 1993 والهولندية 1995 والالمانية 2008 .

"تاصيلا لكيان" وهو مجموعة مقالات 1979 حاول من خلالها جمع كتاباته الادبية واعادة بناء حياته الفكرية .

"السد" 1940 طبعت سنة 1955 وترجمت الى اللغة الالمانية سنة 2007 .

اثر الوجودية في رواية السد

لمحمود المسعدي

تستوي رواية السد لمحمود المسعدي اثرا فنيا فلسفيا اصيلا وتنتظم في سلك الرواية لؤلؤة منقطعة النظير غير ان جوانبها محفوفة بأبراج يصعب اقتحامها ومتاهات بمسافات يستعصي تدليلها انها رواية تدور حول مشاهد , ويسري في اعماقها حوار جريء ومتدفق ثري في معناه ومبناه . كتبت الرواية بلسان عربي فصيح يضاهي لغة الاصبهاني في اغانيه والتوحيد في امتاعه ومؤانسته وتعد بحق ادبا مستطرفا جاء بكل فن مستظرف . تلك هي لغة المسعدي وشؤونه الفنية وأساليبه البلاغية . لغته لغة مقتصدة وزاهدة تبلغ بأوضح المسالك معناها في اصالة وبعد عن الحشو المزخرف ومنسابة متناغمة كمقاطع الشعر توفر للقارئ ذلك الجو السحري لاحتفائها بالرمز وهي على حد تعبير الاستاذ محجوب بن ميلاد يفتح امام عينيك العوالم الفسيحة مثيرا فيك زوابع الفكر ومآسي الوجدان (1) .

ويسود السد جو يذكر القارئ بخيال الاساطير اليونانية . فكل شيء نابض , ناطق , حي حتى الحجارة الصامتة الصماء تتجاذب اطراف الحديث في حوار مفعم بالحركة والحس , تناقش قضايا الحياة وأسرار الوجود .انها تجليات قوة الباري التي ينطق فيها كل شيء. وإنها بحسب تقدير الكتاب والباحثين الرواية التي اصابت الحظ الاوفر في معالجة مأساة الحياة وغاصت في عمق قضايا الوجود , وبلغت ادق المعاني الانسانية في جلاء ووضوح "جرأة نادرة وحرية فكرية مطلقة" (2) .

---

(1)- محمود المسعدي "السد" ص 157 .

(2)- م ن ص 161 .

وبعيد عن الفكر والمنطق والعقل والاستنتاج والقياس والإدراك الصرفي وسيلة للمعرفة , ينقلك المسعدي الى عالم مليء بالتناقضات , من خلال الاحاسيس والصور , ويحلق بك بخيال جامح الى السموات والأخاديد والفجوات والجبال والأودية والهاويات حيث تصرخ النفس وتضطرم النيران في الليالي , انه شعور حاد غامض ومذهل شبيه بالدوار ,

صراخ وعويل وخوف من الوحدة في الكون والوحشة والشعور بالضياع الذي هو مآل الفرد ومصيره .

ان غرض الرواية في ادق ابعادها هو ليس ذلك الدعاء الى الاستسلام , والعجز والتسليم وإنما هو اجلاء لقدرة الفرد على التغيير .

ان الرواية مفعمة بإيمان الانسان بالفعل وقوته على الانجاز وقدرته على الخلق والإبداع انه ذلك الانسان الذي يصمد ويثبت ويتشبث بأهداب الحياة , ويتصدى لكل العقبات حتى تدلل , وتستكين خاضعة لقوة ارادته التي لا ينبغي ان تتوقف عند حدود القهر غير ان الرواية تبصرنا بشيء آخر من خيبة الامل عند الانسان , لان الجهاد من اجل الخلود غرور , وسذاجة ذلك ما توحي به عبارة "البشر من عاداتهم انهم يجمعوا الاوهام والمعتقدات ..."

تقوم رواية السد على كثير من الموضوعات الفلسفية التي اراد لها المسعدي ان تثقل كاهن الانسان في هذه الحياة , في شكل صراع وهموم وإحساس بالضياع , ثم ايمان بالخلق والتصدي وبالفعل والحياة والفكر , كل ذلك في مجرى الزمن الذي يكتسح كالطوفان وجود الانسان , مثيرا لديه اهوالا واصواتا . غير ان الجهاد عند الانسان يجعل من جماجم الموتى على مر الاجيال سدا شيد بالدماء والدموع والآلام . الرواية في ابعد معناها تجسيد لصراع الانسان بين الوجود والعدم بين الحياة والموت . انها ابحار فكري جاد في شؤون الانسان الجوهرية بخطى ثابتة وإيمان صادق .(1)

---

(1)- محمود المسعدي "السد" ص 183 .

لقد كانت رواية السد موضوع وموضع عناية خاصة لدى اشهر النقاد والمحللين على مستوى الوطن العربي وقد تناولتها بالدرس والتحليل والتقييم اقلام باحثين كثيرين ,وقد كانت للدكتور طه حسين وقفة مطولة ازاء هذا العمل الابداعي الذي عبر عنه بقوله : "انها قصة تمثيلية رائعة وغريبة وهي بأدب الجد العسير .وضع فيها الكاتب قلبه كله وعقله وبراعته الفنية وإتقانه الممتاز للغة العربية .انها ذات اسلوب ساحر وألفاظ متخيرة منتقاة قصد بها اثارة التفكير الفلسفي , قصد بها تعمق الحياة والتفقه فيها والنفوذ الى ما ورائها كأعمق وأدق ما تكون الفلسفة . ويمكن القول انها قصة شعرية , بل لقد التقى فيها الشعر والفلسفة لأنها جمعت بين تفكير العقل وتوثب الخيال . لقد ارتفعت هذه القصة وتسامت , فاحتلت منزلة قل ما يسمو اليها شعر شاعر , او فلسفة فيلسوف. ثم يؤكد الدكتور طه حسين بما لا يدع مجالا للشك ان القصة تحيل القاريء في ادق تفاصيلها الى فلسفة كامو ومذهبه العبثي في الحياة وذلك بالأدلة المثبتة . ذلك مايشير اليه في مواضع عدة اذ يقول : ولاشك ان تأثر المسعدي مثبت بالدليل هنا لان محاولة فهم حياة الانسان عبث وهي قصة تعيد الى اذهاننا الاسطورة اليونانية القديمة (1) التي يقضي فيها البطل حياته مع تلك الصخرة التي كلما صعد بها الى القمة عادت الى الحضيض , لأنه قضاء لا فقه فيه ولا حكمة , ولا رحمة انما هو وجود عبث , غير ان الخيال والأمل قد استأثرا بأمره كله . محكوم عليه ان يجد ويعمل , ويحلم ويأمل , لا يحد طموحه بحد الى الموت إلا ان الانسان يتغلب على الموت بتواصل الاجيال , التي يتجدد عند كل جيل منها ما لم تدركه الاجيال السالفة بالطموح والأمل والخيال والعمل والمحاولات الجادة لكسر شوكة المستحيل . فالعبث ان قيس بالزمن فهو مرحلي ينتهي عند حدود حياة الانسان , ولكن الحياة تستمر .

والقصة رمزيتها ثابتة ومتجلية في سائر ثنايا العمل . وهي كما يشير الى ذلك الدكتور طه حسين فلسفة ادبية وأدب فلسفي . وقد اتخذ فيها المسعدي التعبير الشعري سبيلا الى تصوير نزوعه الفكري مستعملا الرمز والإيحاء .وقد نجح في ذلك نجاحا كبيرا .(2)

---

(1)- محمود المسعدي "السد" ص 183 ./ *البير كامو " اسطورة سيزيف " .

(2)- محمود المسعدي "السد" – ص 221 .

ان كاتب رواية "السد" في نظر د/ طه حسين "خصب الخيال , نافذ العقل , غني اللغة , يشيع الحياة والعقل والمنطق في الجبل وصخوره وحيوانه المستأنس والمستوحش . ويشيع الحياة كذلك في الجو بما يبتكر به من هذه الهواتف التي تتحدث بين حين وحين الى الانسان والحيوان والجبال ... وأشخاص القصة عجب من عجب ." (1)

والقصة صعبة مستعصية على الفهم ومتمنعة على القراءة المستعجلة السريعة لغموضها وخصوبة خيالها وكثر رموزها وصعوبة الفاظها ولغتها ذلك ما يعبر عنه د/ طه حسين بقوله : "فهو قد نحتها من صخرة كأنه اشتقها من الجبل الذي تجري عليه القصة , فأضاف عسر اللفظ الى عسر المعنى , و عسر الاسلوب ." (2)

والكاتب محمود المسعدي قد تأثر في هذه القصة بالثقافة العربية الاسلامية من جهة , وبالثقافة الفرنسية ومذهب الوجودية الحديثة للكاتب الفرنسي البير كامو , فهو "يضيف الى الادب العربي مذهبا جديدا لم يحققه الادباء الشرقيون من قبله سواء منهم القدماء والمحدثون." (3)

والمسعدي ينكر ان يكون قد تأثر بمذهب الكاتب الفرنسي , ويقرر انه لم يقرا كتابه عن اسطورة البطل اليوناني إلا بعد ان كتب روايته ومضى على ذلك وقت طويل ... ويضيف انه من الجائز ان يكون قد استقى هو والكاتب الفرنسي من ينبوع واحد , وتواردت خواطرهما على آراء ان لم تكن واحدة فهي متشابهة . (4)

---

(1)- محمود المسعدي "السد" ص من 221 الى 223 .

(2)- م ن ص 227 .

(3)- م ن ص 232 .

(4)- م ن ص 232 .

يظهر الدكتور طه حسين اعجابه بما حققته القصة من اهداف سامية بقوله : "ان الوجودية قد اسلمت على يد الاستاذ المسعدي كما تنصرت على يد الكاتب الفرنسي جبرييل مارسيل ... ولا غرابة اذا ان تكون الوجودية ملحدة اولا ثم تتنصر ثم تسلم آخر الامر ... وقد هدى الله الوجودية الى الاسلام في هذه الايام على يد الاستاذ الاديب " (1)

يعقب الاستاذ المسعدي على نقد الدكتور طه حسين فيما يتصل بتأثره بالأدب الفرنسي , وخاصة بأدب البير كامو قائلا : "صحيح اني تأثرت في تكويني الادبي بالثقافة الفرنسية تأثرا لا يقل عن تأثري بالثقافة العربية الاسلامية , وصحيح ايضا اني اعرف ادب كامو ولكني لا اظن اني قرأت لأديب فرنسي اقل مما قرأت لكامو لا لاني لا اقدر ادب هذا الكاتب , بل لسبب لا ادريه , ولعله حجاب المعاصرة . فان مؤلفات كامو الاولى يرجع عهدها تقريبا الى الزمن الذي الفت فيه "السد" او قبله بقليل , وعلى كل فاني لم اقرا له "اسطورة سيزيف" و "سوء التفاهم" الا بعد ظهورهما بسنوات وبعد تأليف السد بكثير."(2)

ويواصل قائلا : "ولعل العيون التي وردتها من الادب الفرنسي قبل تأليف روايتي فيما بين سنين 1933 و 1939 خاصة هي نفس العيون التي استقى منها كامو والذي تأثرت به هو نفس ما تأثر به هو من نزعة وجودية ظهرت في الادب الفرنسي وبدأت تلونه بلونها الخاص في ذلك العهد " (3)

يقول المسعدي مستمرا في تعليقه على رأي الدكتور طه حسين : "ان الذين يتتبعون تطور الآداب العالمية يعلمون ان من اخص ما امتاز به الادب والتفكير الفلسفي في عصرنا الحاضر هما "الالتزام" من ناحية و "الوجودية" من ناحية ثانية ولست اعرف معنى هو اشد حاجة الى التدقيق والتحليل مثل كلمتي "الالتزام" و "الوجودية" وما يعنى بهما من مختلف المعاني " (4)

(1)- محمود المسعدي "السد" ص 232 .

(2)- م ن ص 256 .

(3)- م ن ص 256 .

(4)- م ن ص 258 .

ثم يضيف قائلا : "والحقيقة ان المحدثين لم يكتشفوا إلا لفظتي "الالتزام" و "الوجودية" اما معنى الالتزام والتفكير الوجودي فعريقان في الادب والفلسفة , قديمان مثل قدم كل ادب صميم " (1)

فان كان التفكير الفلسفي الوجودي يوضح الفكرة والأدب الالتزامي يعبر عن السلوك والموقف , فان هذا وذاك كليهما واقع في نطاق مشكلة الوجود ومصير الانسان ومنزلته من الكون وسلوكه في الحياة ومآله بعد الحياة ... (2)

ويخلص المسعدي الى نتيجة يقر فيها بان الدكتور طه حسين قد اصاب كل الاصابة في نسبة رواية "السد" الى الادب الوجودي غير انه ينبه القارئ العربي الى جانب مهم في شخصية من شبه في فشل جهود غيلان وإخفاقاته المتكررة وفشل جهود سيزيف الدافع للصخرة وان بينهما تمييزا بينا وهو ان الاول يشير الى بطلان الوجود او عبثيته وخلوه من كل غاية معروفة , او حكمة يمكن استكشافها . اما غيلان فيرمز للحي الواعي في كل لحظة من لحظات حياته منبهة فيه القوى الارادية , والبطولة الانسانية , دافعة اياه الى فضل الكفاح الاعظم وشرف الجهاد الاسمى , وان كان يبدو من الظاهر ان غيلان وميمونة قد شقا لنفسيهما في ادغال هذه المشكلة طريقين مختلفين (3)

وقد نالت الرواية حظا وافرا من اهتمامات الدارسين والنقاد في الوطن العربي مشرقا ومغربا اذ يصفها حبيب محمد علوان في محاولة جادة لفهمها قائلا : "والحقيقة ان السد عمل ادبي عملاق في الادب العربي المعاصر بتونس , في دنيا الرواية نفخر به مثلما نفخر بديوان شعر واحد هو "اغاني الحياة " لأبي قاسم الشابي .(4)

---

(1)- محمود المسعدي "السد" ص 258 .

(2)- م ن ص 263 .

(3)- م ن ص من 266 الى 267 .

(4)- الحبيب محمد علوان "محاولة في فهم رواية السد" دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع – تونس ط1 1979 ص8 .

وينظر الاستاذ الحبيب محمد علوان الى شخصية غيلان على انه رومانسي لا عقلاني (1) وقال عن ميمونة انها للشرق تنتسب (2)

وتحدث المسعدي في احد مؤتمرات الادباء العرب بالقاهرة سنة 1957 وبعد طبع السد بسنتين عن الادب والأديب فقال : "ابدا لا تحاول حصره في اديولوجية معينة مهما كانت , ولا تربطه بثقافة معينة مهما كانت ." (3)

ان رواية السد تتوزع مادتها على مدى ثمانية مناظر وتشغل حيزا زمنيا واسعا اشخاصها هم كالآتي بحسب قيمة كل منهم

ميمونة : امرأة

غيلان : رجل كائن زائف

ميارى : خيال وطيف وحب وجمال

بغل زكي

ذئب ذو عواء

اطياف وهواتف

واد وجبل

ملاحظة :

وقد ارتأينا ان محاولة تلخيص رواية مكتوبة بهذه الكيفية ضرب من العبث الذي لا يفضي الى نتيجة ذات قيمة فعزفنا عن ذلك بقناعة تامة .

---

(1)- الحبيب محمد علوان ص 41 .

(2)- م ن ص 41 .

(3)- م ن ص من 42 الى 43 .

الفصل السابع

الوجودية هي فلسفة الغرب المتألقة في القرن العشرين وذلك لما عرفته مفاهيمها من رواج وما احدثته مضامينها من تأثير في الاوساط الادبية و ليس في المشرق فحسب بل ايضا في المغرب وعلى امتداد اقطاره . ففي تونس وجدت الوجودية صداها عند المسعدي (1)

وفي الجزائر تجلى تأثيرها في دراسات محمد اركون (2) الذي استوقفته اشكالية البحث الوجودي , كما ظهرت دراسات اولت عناية خاصة لهذا الادب وبحثت في ابعاده الانسانية (3) . وفي المغرب ينكشف التأثير واضحا عند كوكبة من ادباء القصة والرواية على حد سواء . فعند انيس الرافعي يتجلى تأثير الوجودية بنظرة حادة من خلال كابوس الموت المرعب (4). فقد انجبت سنوات ما بين الحربين الكونيتين – التي اجتاحت خلالها موجات التحرر من اصر الماضي –ادباء حملوا هموم اوطانهم والتفتوا الى واقعهم بكثير من الوعي . واظهروا روح الالتزام والمسؤولية وغلب عندهم احيانا التمرد كما تجلى في فنهم وأدبهم الاسلوب العبثي الساخر واللاذع .ومن هؤلاء نذكر انطلاقا من طبيعة اعمالهم الادبية واعتمادا على توجهاتهم الفكرية في عالم الرواية والسيرة الذاتية وإتباعا لمنطق التسلسل الكرونولوجي : عبد الكريم غلاب(5) ومحمد عزيز الحباني (6), وعبد الله العروي (7),واحمد المديني (8), والطاهر بن جلون(9) وغيرهم كثيرون .

---

(1)- محمود المسعدي رواية السد

(2)- الطيب بوشيبة اشكالية البحث الوجودي عند محمد اركون مجلة القلم العدد كلية الآداب اللغات والفنون .

(3)- nabhani koribaa – humain universel – philosophie esthétique entreprise nationale du livre- alger 1989

(4)- انيس الرافعي , الشركة المغربية لنقل الاموات , منشورات اتحاد كتاب المغرب الطبعة الاولى مطبعة سجلماسة مكناس ط1 2011

(5)- روائي مغربي من مواليد 1919 ابدع في ادب السيرة . ظهرت له سنة 1965 "سبعة ابوب" وفي 1966 "دفنا الماضي" وفي 1971 "المعلم علي" .

(6)- كاتب مغربي من مواليد 1922 ظهرت له سنة 1967 رواية "جيل الظما" , وفي سنة 1974 "اكسير الحياة"

(7)- من مواليد 1933 من اشهر رواياته "الغربة" سنة 1971 و"اليتيم" سنة 1978

(8)- من مواليد 1978 من اشهر رواياته "زمن بين الولادة والحام" 1976 .

(9)- من اشهر رواياته "موحا المجنون" وانظر عصام محفوظ "الرواية العربية الطليعية "ص 81 وما بعدها .دار بن خلدون – بيروت لبنان 1982 .

وربما لن نكون مبالغين في زعمنا اذا افترضنا ان اكثر الكتاب المغاربة تأثرا بالوجودية , وتمثلا لأفكارها وتوظيفا لأساليبها , وإحساسا بمعانيها وبعثا لصورها وربما حتى تراكيبها هو محمد زفزاف .التي تأخذ في كتاباته الموضوعات الوجودية مداها وتتجلى في مختلف احاسيسها وإبعادها فتشيع مفاهيم فلسفلة الوجود ومضامين الحرية والمسؤولية والالتزام والمرأة والجنس والخمر والتمرد مثلما يغيب في ثقافته الوازع الديني (1) والضمير الخلقي ذلك ما دأب عليه في كتاباته الروائية بالشكل الذي يوحي بما لا يدع مجالا للشك في ان مشاربه كانت وجودية ومناهله كانت من كتابات سارتر وكامو وسيمون وغيرهم .

وموضوعاته تحيل مباشرة الى مصادرها الوجودية وقد نجد لتوجهه ذلك اكثر من مبرر فهو خريج قسم الفلسفة من كلية الآداب بالرباط في زمن كانت الوجودية تشهد اوج ازدهارها في الغرب .

محمد زفزاف لم يفصح بصريح العبارة وواضح الاشارة على انه وجودي النزعة في كتاباته . وهذا هو شان الادباء الكبار يتركون للقارئ حرية ممارسة فعل القراءة والنقد والحكم من غير تدخل ولا توجيه غير ان القراءة المتأنية لأعمال زفزاف الروائية تفضي بنا منذ العتبة الاولى للنص ان المناخ الفلسفي الذي يتضمن افكاره وجودي الطابع فهو ينسج على منوال الوجوديين معانقا افكارهم وذلك ما سنعمل على تبيينه من خلال قراءتنا لروايتيه: "المرأة والوردة" (2) و "ارصفة وجدران" .(3)

---

(1)- jean p sartre, la nausée p 162

(2)- محمد زفزاف "المراة والوردة" ط1 المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب 2007 . la femme et la rose

(3)- محمد زفزاف "ارصفة وجدران" ط1 المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب 2007 .

وعلى الرغم من الأوضاع المتردية التي كانت تبدد خيوط الامل في نظر المبدعين وتحولها الى اوهام , فان عنفوان المراهقة بدا عند محمد زفزاف مكتسحا كل اشكال الهزيمة بنوع من التحدي والثبات الواعي , والمدرك بان مصير الشعب , تحدد طبيعته مسيرته التي تتدافع كالسيل الجارف .

والعنفوان في فن القول ظاهرة اكتسحت جميع اشكال الادب كالشعر والقصة والمقالة متجليا في نصوص عدة وفرت للقارئ لذة النص الذي "يمكن ان يتحقق من خلال مادة اولية شديدة الصلة بالمجتمع وهمومه وأسئلته , وإذا ما اتيح لها وعي فني يعرف كيف يقيم المسافة الضرورية بين الوقائع ومقتضيات التخييل ومد جسور الكلام" . (1)

وتأتي رواية "المرأة والوردة" في طليعة اعمال محمد زفزاف الروائية ثم تعقبها من حيث التسلسل الزمني "ارصفة وجدران" . (2)

ان اليأس الذي تسرب الى النفوس المبدعة بفعل تسلط مطرقة التحريم والتجريم والرقابة والقمع وقف في الوقت نفسه عائقا امام حركة التطور الطبيعي للأدب مما حدا به الى فقدان كثير من قيمه الانسانية .

ومن الطبيعي ان تتولد في ظل هذه التأثيرات ردود افعال عنيفة تمظهرت في موضوعات التمرد والواقعية والالتزام والحرية والمرأة والجنس والآخر وهيمنة على انشغالاته في مرحلة مبكرة من حياته .وإذا كان عظماء الادب في العالم هم من تتجلى في اعمالهم آثار تشهد على عصورهم وعلى مواقفهم (3) فان الروائي يخرج من اطار التأمل مجاوزا الى الفكر والاقتصاد والاجتماع والسياسة (4) .

---

(1)- محمد برادة تعليقا على رواية "دليل العنفوان" صفحة الغلاف الخارجي .وانظر ايضا عبد القادر الشاوي – "دليل العنفوان" نشر الفنك ط1 1989 .

(2)- انظر لحميد حمداني , الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي دراسة بنوية تكوينية ص 61 .

(3)- انظر سهيل ادريس "مواقف وقضايا ادبية" ص 39 .

(4)- انظر محمد زفزاف في مقال له بمجلة الطريق العدد "التقنية الروائية ليست بالضرورة دالة على طلائعية رواية ما".

ان شخصيات محمد زفزاف تتحرك من منطلق الكينونة والوجود , والرغبة الملحة في تحدي من ينكر هذا الوجود او يمارس ضده عملية الاقصاء والتهميش كشرب الخمر وممارسة الجنس ما قد يفهمه القارئ انحرافا وشدودا او هروبا وصدودا او لهوا ولعبا واقع تكرس مفاهيمه بالتمرد والثورة والغضب والرفض لكل اشكال القمع ذلك ما يدافع عنه زفزاف بقوله :"لا اعتقد ان هناك شخصية من شخصياتي تلجا الى الخمرة كمحطة للهروب او العبث , وإذا وجدت وهي قليلة فللتدليل على وجود هذه الشريحة من المجتمع لفرض وانتقادها (1) .

ان تجربة محمد زفزاف الروائية بل والسردية في مجملها وثيقة الصلة بالواقع المغربية في كل ابعاده ومستوياته وأصعدته , الا ان جودة التفرد بالفكر الرافض , المنتقد للواقع يحيل الدارس لأعماله الى المفاهيم الوجودية في مضانها الفلسفية .

فهو من اكثر الاصوات الثقافية التي خاضت تجربة كتابة السيرة الذاتية وزاولت الابداع كفن وفعل واثر بغية ربط الرواية المغربية بعلاقة وثيقة تضمن التواصل والامتداد مع الغرب .(2)

---

(1)- احمد مديني "فن القصة القصيرة في المغرب",النشاة والتطور والاتجاهات ص 192.

(2)- انظر احمد فرحات "اصوات ثقافية من المغرب العربي" ص 158

محمد زفزاف

(2001 – 1945)

ولد الاديب محمد زفزاف بسوق اربعاء الغرب بالمغرب في سنة 1945 وقد احتضنته البيئة الشعبية من اعماق المجتمع المغربي الفقير البائس .فذاق مرارة الحرمان والقهر والانكسار, وتعرف على مختلف شرائح المجتمع .فكانت له علاقات حميمية واسعة بكل فئاته كبارا وصغارا, وهو في سلوكه اليومي ارتجالي عفوي يتصرف على السليقة ولا يكترث بالهيئة والهندام , ثائر متمرد بنظرات ثاقبة وان كان طبعه الى الهدوء اميل , ومشاعره الى الرقة اقرب . يكره التسلط والهيمنة , وينبذ العنف القمعي , ويرفض الاستبداد بكل اشكاله , والإقصاء والتهميش بكل انواعه . ويمقت شتى اشكال الهيمنة التي يمارسها النظام البرجوازي الاقطاعي الذي يكرس سياسة التفاوت الطبقي بين جماهير الشعب فينغص عيشها ويكدر صفو حياتها ويحولها الى بؤس وحرمان وشقاء .

عمل "محمد زفزاف" مدرسا في الثانوية , ثم تخلى عن المهمة التربوية لأسباب لم تذكرها المصادر , وتفرغ للكتابة الادبية . فانصب اهتمامه في البداية على الشعر , ثم تحول الى الكتابة النثرية فجرب حضه في مختلف فنونها .فكان للمقالة نصيب من عنايته , كما نالت القصة القصيرة حظا وافرا من ابداعاته , إلا ان فنونه السردية تجلت في ابداعه الروائي المتميز .وفي الرواية التي وجد فيها ضالته تشبث بمذهب الواقعية والالتزام - على غرار معاصريه من الادباء – فمارس في الكتابة الروائية مختلف اشكال ومضامين النقد الواقعي بقضايا الشعب وهواجس الانسان .

خلف "محمد زفزاف" – الذي استعجلته المنية في اواسط العمر – رصيدا معتبرا من الآثار الادبية القيمة نذكرها على النحو الآتي :

الروايـــــــــات

- افواه واسعة
- المراة والوردة
- بيضة الديك
- ارصفة وجدران
- قبور في الماء
- محاولة عيش
- الحي الخليفي
- الثعلب الذي يظهر ويختفي
- الافعى والبحر

وله ايضا :

- سيرة الدار البيضاء
- مدينة المفارقات
- مدينة الاسمنت
- بائعة الورد

"محمد زفزاف" واقعي ملتزم , يستلهم موضوعاته من قضايا المجتمع ووقائعه اليومية وينسج نصوص كتاباته الروائية من جدلية الصراع المحتدم بين طبقات المجتمع ذات الحظوظ المتباينة والفرص المتفاوتة . وهذه البيئة التي يستمد منها "محمد زفزاف" مادته التي تؤلف نسيج نصوصه الفنية تعينه على البحث في اعماق المجتمع عن قضايا الانسان , وعن خلجات النفس , وخفقات الروح وهو يبحث في لهفة عن الاخلاق النبيلة والخلال السامية , ويمارس بكل حرية ثقافة المبدع المتحضر , الحر الرافض لكل اشكال القمع والتسلط , وينشد الديمقراطية الحقة والعدالة والمساواة في مملكة تمجد الدين وتشيد بالاخلاق وتكرم الانسان .

اسلوب "محمد زفزاف" في الكتابة :

يتسم اسلوب "محمد زفزاف" في الكتابة الروائية بالشفافية التامة الهادفة الى الكشف والتعرية للفشل والهزيمة والإخفاق في اسلوب جميل ساحر وأخاذ , يستمد رونقه الفني من بساطته التي يدبج بها متنه السردي .وهو على غرار كثير ممن عاصروه , تشيع في فنه القصصي ملامح الانسيابية والغزارة والخصوبة والتدفق في المعاني مما يدل دلالة واضحة على التمرس في الابداع والإبحار في عالم التجارب بشكل ثري .

"محمد زفزاف" يمزج بطريقة طريفة بين الواقع والخيال ويستلهم من التراث الحكائي , ويستمد من البعد الاسطوري على غرار النموذج اليوناني والنزوع الفكري الفلسفي والحس الواقعي الوجودي في اخلاصه والتزامه , وهو بهذا يستوي معلما بارزا من معالم الرواية على الصعيد المغاربي وعلى مستوى الوطن العربي , وهو ايضا حلقة لامعة في سلسلة العشاق الذين فتنهم السرد واغرتهم كتابة الرواية واستهوتهم السيرة .

"محمد زفزاف" هو احد رموز الادب الذين غدوا السرد المغربي الحديث والمعاصر بأشكال وصور من الكتابة في الفن القصصي والروائي على وفق ما كانت تستدعيه المرحلة من مشاهد يومية في مجتمعات يسود فيها التذبذب والاضطراب في السياسة والأدب والفن على حد سواء .

ان قصص وروايات "محمد زفزاف" ترصد واقع المغرب وتغوص في اعماق المجتمع بأدق تفاصيله بحس المدرك الواعي الحالم والطامع , والرافض للانكسار والهزيمة والمتطلع للتفوق والانتصار .

وهو فنان يصور بأسلوبه من المشهد اليومي سيرة شخصيات عادية مألوفة تفصح في منتهى الصدق والصراحة عن مشاعرها رغم ما تعانيه من حرمان , وما تكابده من آلام . انها شخصيات ترفض بكل جرأة اشكال الزيف والاحتيال والمراوغة والمداهنة . انها شخصيات تبحث في هموم النفس , ومصير الانسان , وحتمية القدر , والشعور بالقلق والضياع وتتغذى باحتمال تحقيق الحلم رغم القهر وترى في الامل سبيلا للخلاص .

اثر الوجودية في روايات محمد زفزاف

1)- رواية المرأة والوردة :

المرأة هنا تسجل حضورها منذ البدء بقراءة العنوان بشكل مكثف ذلك ان حضورها ليس غريبا بل مألوفا كل الالفة في الحياة , بل هي شريك وعنصر اساس لضمان الاستقرار وتوفير التواصل والاستمرار وهي كائن ترتبط به مادة وحسا وشعورا وندرك قيمتها وأبعادها في الوجود , لا نحيا بدونها , هي رمز الخصب والنماء والثراء , هي مرتع خصب ومنهل عذب في الحركة والسكون , مصدر الحنان والتوازن النفسي قيمتها مبجلة في القيم والدين والأخلاق . وإذا كانت المرأة (1) شريكا في الحياة وكائنا ملازما للرجل في الوجود تقاسمه آماله وآلامه , فان الوردة لا تملك إلا ان تقدم في لحظة ما لسعة للحس تسحر بها بصورة آنية غير ان اثرها سرعان ما يتلاشى ويندثر وهذه المقابلة تقصد من خلالها الرواية ازدواجية الكينونة من خلال الجوهري الذي لا يكتمل معنى الوجود إلا بحضوره في حين تعد الوردة شيئا كماليا يمكن الاستغناء عنه .

ويتمظهر موضوع الحرية بوصفه مشكلة جوهرية عند الوجوديين اشكالا عديدة , وتأخذ عند شخصيات محمد زفزاف في مسار البحث عنها ابعادا مختلفة , ودروبا ملتوية , تجيز لنفسها حين تسلك التمرد سبيلا طرق كل الابواب , وبسط كل النفوذ , وكسر كل القيود في شبه المطلق اللامحدود , والعبثي اللامعقول , والملحد والساخر العابث الذي لايعرف معنى للحياة خارج حدود الموجود . وتذكرنا شخصيات رواياته بتصرفات مماثلة الفناها عند شخصيات سارتر وسيمون وكامو فهذه الحرية المطلقة التي تؤدي الى انكار الاله في شكل من الالحاد الصارخ في مسرحية الغثيان لسارتر :" لاؤمن بالله " (2) .

---

(1)- hélène nahas la femme dans la littérature existentielle p 2 presses universitaires de France , paris , 1957

(2)- j.p sartre , la nausée p 162 . « je ne crois pas en dieu »

هذه الحرية تتردد اصداؤها في عبارات كثيرة تلفظها شخصيات زفزاف من خلال حوار تجريه عن الدين وتبرز من خلاله مواقفها من المسيحية والإسلام . هذه الشخصيات تصرح انها توارثت الدين بصورة غير صحيحة تفتقر الى اساليب الاقناع مما حدى بها الى العيش في الفراغ الذي يتحول الى نفي وجود الاله او الكفر به او بمعنى آخر هذه الشخصيات تدعي انها حرة , لا شيء آخر تعيشه خارج وجودها وهو فهم خاطئ لمعنى الحرية واستهتار بكل القيم الانسانية في غياب الوازع الاخلاقي والديني .

تقول "سوز" بطلة زفزاف في "المرأة والوردة"

(ماذا تعني ؟ بالصليب. انا ملحدة لم اعمد. هل تعمدون ؟. ....الخ

قلت وأنا اجلس : لا ...لا نعمد. هذا غير ضروري . انا ايضا ملحد لم ارى في حياتي ما بداخل المسجد . ابي وأمي كذلك . رغم انهما متعصبان . وإذا سمعني مسلم الآن يقتلني . متعصبان ؟ من اجل ماذا ؟

لا شيء – لا يعرفان . انهما اميان . متدينان بالغريزة كالحيوان .) (1) .

هذا الحوار يعيد الى اذهاننا ايضا موقف "مورسو" الذي استوطنت في عقله فكرة اللاعدل في المسيحية التي لم يكن يعيرها في حياته ادنى اهتمام . ذلك ما يفصح عنه بطل رواية "الغريب" l’etranger في الحوار الذي اجراه مع الكاهن الذي يستفسر عن السر الذي جعله يرفض زيارته حين قال : " لماذا ترفض زيارتي ؟ فأجبت اني لم اكن اومن بالله" (2)

---

(1)- محمد زفزاف , "المراة والوردة" ص 33 .

(2)- Albert camus , l’etranger , p 176 « pourquoi m’a-t-il dit refusez-vous mes visites ? j’ai répondu que je ne croiyais pas en Dieu il a voulu savoire si j’en étais bien sur et jai dit que je n’avais pas a me le demander , cela me paraissait une question sans importance »

ويتكرر حس اللامبالاة ازاء الدين بطريقة تبلغ حد الاستهتار بسبب اتخاذ الناس له مطية لتحقيق مآربهم , والتغطية على سلوكاتهم اللااخلاقية ويتساؤل كذلك ابطال زفزاف عن جدوى وجود دين لا يؤمن للناس العدل والمساواة ولا يوفر لهم الحماية من ممارسات السلطة اللااخلاقية .

" المرأة : من انت ؟

انا رجل , انسان . لكن احاول ان اصير الها . هل هذا ممكن ؟

المرأة : لماذا بالضبط تريد ان تصير الها ؟

انا : لان الله له قيمة !

المرأة : هل ما يزال الله حيا عندكم ؟ ." (1) .

و الحرية في روايات محمد زفزاف تستوي جوهرا يسجل مطلبه بإلحاح على لسان شخصياته وإطارا عاما يتحرك بموجبه ابطاله . انها شخصيات تنشد الحرية وتناضل من اجل الخلاص والإفلات من عوالم بات العيش فيها صراعا مريرا , بل جحيما وسجنا يتفنن في صنعه الآخرون . وتتحول حياتهم في ظل هذا الصراع الى كوابيس مزعجة وعبث ولا معقول ينتهي بهز فزاف احيانا الى ان ينصب لنفسه محكمة تصدر ضده حكم التجريم .

---

(1)- محمد زفزاف "المراة والوردة " ص (74- 75) .

وجد بطل "المرأة والوردة " في بلاد الغرب حريته المغتصبة , المفقودة التي ظل يطلبها في بلده فتخلص من مسؤولية اعالة الابناء الذين خلفهم بدون كفيل عقب وفاة والده وانتظم في سلك الانحراف وعالم اللذة نموذجا منقطع النظير فانغمس في بيئة الشرب والجنس واللهو والطرب في ملاهي اسبانيا ويعبر عن ذلك بنشوة قائلا : " يا الهي لتحيا اسبانيا عندما اشرب الشامبانيا واسكن افخم اوتيل وارتاد اغلى المراقص , آه يا الهي لتحيا اسبانيا عندما استطيع في اردل العمر ان احصل على شابة جميلة لكنها فقيرة " (1) .

هذه كلمات تعيدنا الى اجواء سن الرشد l'age de raison وتذكرنا بماتيو mathieu الذي يرفض الزواج من مارسال هروبا من تحمل مسؤوليته , ويجهد نفسه في الحصول على المال لإجراء عملية الاجهاض و ولو ادى به ذلك الى ارتكاب جريمة وهو ضرب من المسؤولية بحثا عن الحرية في حين هو هروب من الواقع وعدم الاكتراث به فهذا جاك يوبخ ماثيو على هروبه من تحمل مسؤولياته قائلا له : "ان هذا الطفل الذي سيولد هو النتيجة المنطقية لوضع ارتضيته لنفسك وتريد ان تحذفه لأنك لا تريد ان تقبل جميع تصرفاتك " (2) .

هذا ما يقابله حوار سن الرشد الذي ورد كالآتي :

(cet enfant qui va naitre est le résultat logique d'une situation où tu t'es mis volantairement et tu veux la supprimer parce que tu ne veux pas accepter tout las conséquences de tes actes.) (3)

---

(1)- محمد زفزاف "المراة والوردة" ص79 .

(2)- المرجع نفسه ص 134 .

(3)- j.p sartre ; « l'age de raison » p 158 .

وتطارد فكرة الموت بطل زفزاف فيبدي خوفه الشديد عندما يقول : "كان خوفي من الموت اذ ذاك شديدا , لماذا اموت وأنا مشرف على اروع حياة ؟ , سوز , والحب والجنس والخمر: ديونيزوس , وأنا ايضا اله سأسمي نفسي : محمدوس اله هذه الاشياء جميعها , لماذا الموت وأنا اشم رائحة عدن , بل اعيشها " (1) .

ففي المراة والوردة عموما تكثر الشواهد الدالة على عمق تاثير فلسفة العبث واللامعقول وتخيم اجواء اسطورة سيزيف لألبير كامو بحيث يوظف محمد زفزاف عنوانها رمزا يفيد معنى اللاجدوى وذلك في قوله : "كنت اغرق , وعندما احاول ان انقد نفسي اغرق من جديد , وأعاود الكرة بطريقة سيزيفية عابثة " (2) قاصدا بذلك le mythe de sisyphe

---

(1)- محمد زفزاف "المراة والوردة" ص 97 .

(2)- م ن ص 104 .

اثر الوجودية في روايات محمد زفزاف

2) رواية ارصفة وجدران :

رواية ارصفة وجدران تجسيد بالصور والمشاهد والألفاظ والمعاني لأفكار الاستغراب على مستوى الشكل والمضمون يستمد محمد زفزاف مادتها الفكرية من الفلسفة الوجودية , التي يجد في اطارها مجالا معرفيا خصبا يغذي الشخصيات في حوارها بأفكار اللاجدوى والعدم والضياع والدوار واليأس والغثيان والتيه والضلال , تضرب في الارض بغير هدى تتحرك ولا تعرف للحياة معنى ولا تدرك للوجود قيمة "ان العالم مهترىء وقديم , بل وعادي جدا....(وما احوجه الى تغيير)" (1)

ذلك ما يتفوه به بطل الرواية بومهدي الذي يشعرنا منذ الوهلة الاولى بالسخافة والعبث والضياع عندما تنعدم عنده القيمة وتفتقد الغاية . ويتفاقم هذا الشعور عنده ويزداد حدة حتى يبلغ مداه فيتولد منه لديه الكره الذي يسيطر عليه فيكره حتى والدته التي انجبته , ذلك ما يعبر عنه بقوله "اني اكرهها واكره حتى البيت الذي يجمعني وإياها , انها تعطف علي , ولكني اعتقد انها لا تصلح لعطفي عليها , انها لا تعجبني , لست ادري لماذا " (2)

انه كره يبلغ الدروة ويتفاقم بشكل ثلاثي الابعاد يجعل كل شيء امام البطل بومهدي جحيما : عالمه الذي يحي فيه , والبيت الذي يأوي اليه ومنبع الحنان الذي يعطف عليه , امه .

وتزداد عنده الرتابة la monotonie حدة حتى يصاب بالدوار فيحس بثقل في الراس بوزن الرصاص , وأنغام في الجمجمة رتيبة من اثر الطنين "راسي ثقيل كالرصاص ,في جمجمتي نغم كنسي رتيب : طن ,طن , طن " (3)

---

(1)- محمد زفزاف -"ارصفة وجدران" -ص7.

(2)- م ن -ص12.

(3)- من – ص 25 .

ولا يكاد يخلو عضو من الالم الذي يحس به : انها الذات التي تتعذب في اعماقها بطريقة تشبه الانتحار الذي يحدثه السم البطيء فبجعل البرودة تسري في دمه حتى يغدو الدم الفائر جامدا كالصقيع .

ويضاعف الاحساس بالعبث في الوجود حدته في ذات البطل الذي يبدو له انه لاشيء في العالم من حوله عاد يحتمل , فيسارع الى الاعلان عن رغبته في الانتحار "الحياة غير مجدية : العبث في كل شيء , هذا العالم لا يحتمل " (1)

فالبطل هنا شخص ضائع هارب تائه , ناكر لكل شيء , نافر من كل شيء ينشد الخلاص ليس بالتمني والعمل , وإنما بالاستسلام والرضوخ والفشل ويصور التيه والضياع والإحساس بالصداع : " ضجيج السيارات والشاحنات , الناس يمشون بلا هوية " (2)

ان الرواية مليئة بالأحاسيس والأفكار الوجودية التي تحيلنا مباشرة الى مضانها الفلسفية عند سارتر ومن نحى نحوه من الوجوديين فتجعلنا نعيش في اجوائها فنعايش اليأس والقلق والضجر والمرارة والغثيان . فلنستمع اليه وهو يقول على لسان بطل روايته :"كان بومهدي يسير ورأسه تكاد تنفجر , والقلق يضغط قلبه الكسير ويبعث الآلام والغثيان والنرفزة في اعصابه التي تتوتر " (3)

ويصل الشعور بالضياع اوجه حدة عندما تستهويه عملية الانتحار فيشرع في تعداد مسالكها ويبحث في تفنن عن مبرراتها ذلك ما يعبر عنه بقوله : "انا انتحر بسهولة ويسر ...او اتناول اقراصا مميتة ... افكر احيانا في الفرق بيني وبين هذا الجدار وهذا النبات , ربما يكون احسن حالا مني " (4)

---

(1)- محمد زفزاف –"ارصفة وجدران" ص 70

(2)- م ن – ص 70

(3)- م ن – ص ن

(4)- م ن – ص 68

ان رواية "ارصفة وجدران" مؤسسة في بنائها على افكار تجربة الغثيان (1) لجان بول سارتر التي تكرس مفاهيم الاختناق والملل والشعور بالضياع وتدفع باتجاه الانعزال والانطواء والابتعاد عن كل ما هو ذو قيمة تنظيمية او تركيب اجتماعي , اما نتيجة لإدراك سخافة الوجود كما هو الحال عند كارل ياسبرس او بحكم السير نحو الموت والعدم او الغثيان .(2)

(1)- المذاهب الادبية من كيركيجارد الى جان بول سارتر – ترجمة فؤاد كامل القاهرة 1971 ص-129 .

(2)- وانظر الفلسفة المعاصرة في اوروبا ترجمة د/ عزت قرني – سلسلة 12 عالم المعرفة ع 165 – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ص 268 .

خاتمة

لقد سمحت لنا رحلتنا الطويلة عبر محطات هذا البحث بان نستخلص جملة من النتائج نوردها على النحو الآتي :

- شهدت الوجودية عقب احداث الحرب العالمية الثانية رواجا كبيرا , وأصبحت فلسفة العصر .

- لم تبق الوجودية حبيسة الفلسفة فحسب , بل امتد تأثيرها الى الاوساط الادبية , فعرفت طريقها الى الرواية والقصة والمسرحية وأدب السيرة .

- انعكست اصداء الفكر الفلسفي الوجودي على كثير من الاعمال الادبية , على المستوى التنظيري والإبداعي .

- يعود الفضل في هذا الذيوع والانتشار الى ثلة من الادباء الفلاسفة , ياتي في مقدمتهم جان بول سارتر وألبير كامو وسيمون دو بوفوار .

- لقد سبقهم الى ارساء دعائم هذا الفكر فلاسفة آخرون وعلى رأسهم مارتن هيدجر في المانيا .

- عرفت الوجودية في طريقها الى الناس اتجاهين : احدهما مؤمن والثاني الحادي عبثي .

- ترتكز الوجودية على ثلاث دعامات اساسية تتمثل في الحرية والمسؤولية والالتزام .

- تتسم الوجودية في الغالب الاعم بأنها فلسفة ذات ابعاد انسانية , ترى ان الوجود يسبق الماهية وتنظر الى الانسان على انه هو الذي يصنع مصيره بيده .

- تمجد الوجودية حرية الفرد في المجتمع .

- الوجودية تدعو الانسان الى ان يعيش واقعه بوعي .

- ترى ان الانسان حر , ولكن حرية الاختيار تلزمه تحمل مسؤولية هذا الاختيار والدفاع عن الموقف الذي تبناه .

- لقد عرفت الوجودية طريقها الى الوطن العربي , وكانت البيئة العربية الشامية سباقة الى استقطاب المؤثرات الاجنبية نتيجة لما يوفره نسيج مجتمعها من مناخ ملائم للحوار بين الحضارات الذي يغذي اشكالا من الصراع , ويظهر انواعا من الاتجاهات التي تتباين فيها الافكار , وتتصارع فيها المذاهب .

- شكلت بيئات الشرق المناخ الملائم الذي يغذي النزعات التحررية ويدعو الى التمرد على طرق من التفكير استوطنت في العقلية العربية على مدى قرون , فدفعت النخبة الطلائعية المثقفة الى التفكير الواعي الذي يسمح للذات بادراك معنى وجودها ومعرفة قيمة حياتها في المجتمع وبين الناس .

- تعد فرنسا على وجه الخصوص البلد الذي يعزى اليه نشر الفكر الفلسفي الوجودي في الاوساط الادبية , وان كانت تشاركها فيه المانيا وانجلترا وبلدان اخرى من اوروبا عامة .

- يعود الفضل في نقل هذه الافكار , وإشاعتها بين الشباب في الوطن العربي الى طلاب الدراسات العليا الذين توجهوا الى الغرب في اطار بعثات علمية , لإكمال دراستهم .

- كانت جامعة السربون هي التي احتضنت اغلبية هؤلاء الشباب , وهيأت لهم المناخ الملائم للكتابة , والإفصاح عن مكامن الذات والتعبير عن المشاعر بحرية تعبيرية تفتقر اليها البيئات الشرقية المحافظة , والمتشبثة بقيم ومبادئ زائفة تحد من حرية الفرد بالتحريم والتجريم , وتقف في وجه التطور وتقتل المبادرة الفردية مما هيا الجو لأشكال من الصراع بين الاجيال .

- تطورت الرواية العربية تطورا مذهلا بعد الحرب العالمية الثانية في سائر الاقطار العربية وكان ذلك التطور مواكبا لما عرفته المجتمعات العربية من تحولات ووقائع وأحداث وأزمات .

- عرفت الرواية العربية تنوعا في الانماط وتعددا في الاتجاهات وثراء في الاسلوب .

- عرفت الرواية العربية الاتجاه الواقعي الذي ينظر الى الواقع بوعي وإدراك سيكولوجي عميق .

- ان الاتجاه الواقعي اختلفت حوله الرؤى وتباينت من خلاله المضامين واختلفت حوله المواقف .

- يعد سهيل ادريس كاتبا روائيا موهوبا , ويأتي في طليعة الجيل الثاني الذي بلغت على يده الرواية مرحلة النضج الفني .

- لقد وفرت بلاد المشرق عامة وفي طليعتها لبنان خاصة ذلك المناخ الملائم الذي هيا اسباب التلاقي بين الحضارة العربية والحضارة الغربية وسمح للتيارات الفكرية بإجراء حوار تجلى في شكل صراع متواصل بفعل التعدد العرقي والطائفي , وشكلت مركز استقطاب لكل المؤثرات الاجنبية التي وجدت ما يستدعيها الاستيطان في العقلية العربية .

- سهيل ادريس شخصية ثائرة متمردة منذ الطفولة الاولى , ويتجلى ذلك الرفض والنزوع التحرري في كثير من سلوكاته اليومية .

- شخصيات سهيل ادريس ايضا ترفض هي الاخرى ذلك الخضوع وتأبى التبعية .

- انها ثائرة متمردة تبحث في توتر وقلق دائمين عن معنى لوجودها في المجتمع وتتصرف بوعي وتصنع مستقبلها وتشارك في تحديد مصيرها .

- ان بلاد الشام التي احتضنت سهيل ادريس بالميلاد والنشأة لم تكن تحمل في ربوعها ذلك المناخ الذي يساعد على السير في اتجاه اتسم بالعبث والإلحاد .

ان الحرية والمسؤولية ليست وليدة الفكر الفلسفي الوجودي فحسب بل عرفت منذ القديم في كثير من الفلسفات والنظريات .

- ان القران الكريم ينص في كثير من اياته وصوره على ضرورة التحلي بالالتزام والمسؤولية .

-ان الحديث النبوي الشريف يعنى هو الاخر بهذا الجانب ويتجلى ذلك في كثير من وصايا الرسول "ص" وفي توجيهاته وإرشاداته للأدباء والشعراء .

- ان الرواية الشامية اهتمت ايما اهتمام عند سهيل ادريس بإظهار الصراع بين الاجيال على مستوى الفكر والفن والعادات والتقاليد .

- اظهرت الرواية عنده ايضا مدى حرص الاباء على توجيه الابناء صوب التكوين الديني .

- ان سهيل ادريس الذي احتضنته بيئة الغرب في مرحلة الدراسات العليا وجد في تلك البيئة مناخا يلائم هواه التحرري .

- مرحلة الشباب والمراهقة عند سهيل ادريس مرحلتان متباينتان , وذلك ما نلمح اثاره الفنية بوضوح في "الحي اللاتيني" و""اصابعنا التي تحترق".

- ان ثلاثية سهيل ادريس قد اكتملت لديها كل مقومات النضج الفني بشهادة النقاد والأدباء .

- سهيل ادريس في الحي اللاتيني انسان عبثي لا يتحلى بروح المسؤولية ولا يعرف معنى الالتزام .

- تستوي المرأة في عالم سهيل ادريس شريكا يوفر اسباب الالفة والسكون وتشكل ملاذا آمنا ومصدرا محفزا ومعينا على مواجهة الصعاب واجتياز الازمات .

- كانت سيرة سارتر هي المصدر الذي غذى عقول الشباب بالجرأة وقوة الاندفاع , والثورة على كل ما لم يعد لوجوده مبرر في المجتمع وخيمت على المثقف العربي افكار وجودية ملأت حياته بالقلق والحيرة , والضجر والغثيان ودعته الى الخوض في مسائل الوجود والعدم والموت والآخر وما الى ذلك في حين استسلم بعض منهم الى فكرة اللاجدوى واستقر في رأيهم ان الوجود ضرب من العبث .

- شخصية سهيل ادريس الثائرة يغلب عليها التوتر ويظهر في بعض سلوكها ذلك التناقض الذي يتأرجح فيه البطل بين التماهي مع افكار سارتر الوجودية والابتعاد عنها , نلمس ذلك

بوضوح حين يفضل المرأة الشرقية عند موازنتها بنظيرتها في الغرب ويعلن بقراره انه لا يرضى لها بديلا .

- " الحي اللاتيني " تجسد سلوك ذلك البطل الذي لا زال يتحسس طريقه نحو المستقبل الفني والأدبي والمستوى السياسي النضالي .

- " الحي اللاتيني " تجسد الانسلاخ الكلي من الفكر التقليدي العربي وتبعث نحو الانفتاح التام عى طرق التفكير الغربي .

- رواية " اصابعنا التي تحترق " تصور عودة تدريجية للمؤلف في احضان قضايا النضال السياسي والفكري والأدبي مع حرص بطل رواياته على اظهار

- الاهتمام بمبادئ الفكر الوجودي التي تتمثل اساسا في الحرية والمسؤولية والالتزام.

- محمود المسعدي اديب تتجلى في روايته "السد" اشكال من الصراع الحاد بين العقل المفكر الواعي وبين الفكر المتحجر الجامد الذي يرفض كل اشكال واساليب التدبير .

- يمثل المسعدي حالة خاصة في الكتابة بحيث يجمع في نصه الادبي الروائي والابداعي بين القديم والحديث , ويؤلف بينهما بطريقة العارف المتبصر والعالم المتبحر في علوم الفكر والفلسفة والادب والدين .

- تتلمذ المسعدي على العديد من المستشرقين من امثال جويار وبلاشير وحاور كبار الادباء من امثال طه حسين .

- ان ظروف المعاصرة التي احاطت بالمسعدي في مرحلة التكوين وبناء الشخصية الادبية تبين من خلال كتاباته انه ينهل من اكثر من معين فقد تشبع من ادب شكسبير , وتشرب خصائص كتابة دستويفسكي واونامونو مثلما تغذت ثقافته من افداد الادب العربي من امثال ابي العلاء المعري وابي حيان التوحيدي وابي حامد الغزالي وعمر الخيام وغيرهم .

- ان الاثر الوجودي في رواية "السد" من منظور الكاتب الروائي محمود المسعدي لا يقف عند حدود المعنى الضيق بل يمتد الى مدى اوسع ليعانق المعاني الانسانية .

- يقر المسعدي نفسه ما اشار اليه د/ طه حسين من امتداد تاثير الفكر الفلسفي الوجودي في "السد" غير انه يرفض الايمان بمعناها العبثي في حين يؤمن بالتحدي والاستمرار من اجل التغلب على الاخفاق .

- رواية السد موغلة في العوالم الذهنية وتشبه الى حد ما رواية "الشحاذ" لنجيب محفوظ .

- هو ظاهرة متميزة فيما كتب , يركز في نصوصه على قضايا الوجود والانسان كالحرية والمسؤولية والإرادة والخلق والتجاوز ويطرح امامه اشكاليات الموت والحياة .

- اتجاهه في الحياة يجعله يرفع من خلال ادبه شعار التحدي المستمر كالمحارب الذي لا يعرف المستحيل .

- ان رواية "السد" في تقدير الكاتب عمل ذهني فلسفي وفكره يخوض تجربة البحث عن الحقيقة المبثوثة في ثنايا الشك والايمان .

- ان "السد" في نظر مؤلفه كتاب الايمان يسع من الحيرة اقصاها ويبلغ من الشك اقساه وهو كتاب الايمان بالانسان لانه كتاب الفناء في الخلق وفي الله .

- انه الكاتب الذي لا يعرف المستحيل ويحاول بطله في تحد مستمر صنع حياته وتغيير وضعه غير آبه بمن يسعى جاهدا لعرقلة مساعيه من ذوي العقول الجامدة والافكار المتحجرة التي ترى في كل محاولة ضربا من الجنون والعبث واللاجدوى وتكرس مفاهيم الرضوخ والاستسلام .

- رواية السد يبث من خلالها الكاتب الحياة في كل شيء ويستنطق كلما يحيط به من جبل وشجر وحجر ويدعونا باسلوب تهكمي ساخر الى معايشة حلقات تضم اشخاصا يجيدون رسم الطلاسم ويتفننون في اشاعة اساليب التعمية بين الناس في محاولة لمحاربة الفكر النير والعقل الواعي المتبصر .

- لم يقتصر اثر الوجودية على الرواية العربية فحسب بل تعداها الى الادب السيرذاتي فظهر واضحا عند عبد الرحمن بدوي في "سيرة حياتي" التي تعيد الى اذهان القارىء قصة

حياة سارتر من خلال "الكلمات" و"سن الرشد" وتنقله الى اجواء الفكر الوجودي الذي يخيم على الثلاثية بشكل عام .

- عبد الرحمن بدوي فيلسوف عربي مصري قرا الفكر الفلسفي الوجودي بنهم وعمق واستوعبه وتبناه بمنهاج العارفين باسراره وخباياه , واشكاله ومضامينه ودافع عنه بحماس شديد , دفاع الاقتناع والقناعة والتحدي والايمان المطلق . ومن هنا سمي بالفيلسوف المثير للجدل الذي شهد له بذلك د /طه حسين اثناء مناقشته له في رسالته .

- تؤكد جميع المصادر التي تناولت فكر عبد الرحمن بدوي ومذهبه الفلسفي ومنهجه في دراسة المذاهب , على انه فيلسوف عربي وجودي بدون منازع .

- تعد اعترافاته الشخصية بانه وجودي في فكره ومذهبه في الحياة يحاول من خلالها ان يرتقي الى مستوى سارتر وكامو ومارتن هيدجر .

- لقد دعى في مشروعه الى بناء وجودية عربية مؤكدا على حاجة العالم العربي الى مبادئها الانسانية ويؤكد في فكره على انسانية الحضارة .

- يؤكد ان حضارة الغرب المبنية على انقاض الحضارة العربية ستؤول الى السقوط لتحل محلها الحضارة العربية ويعود اليها مجدها الضائع , ويتحدث عن ذلك بنبؤة العراف الذي يتوقع ان لا تتعدى حدوث ذلك مطلع الالفية الثالثة .

- انه كاتب موهوب يعشق الكتابة في معاني الوجود ويخوض تجربة البحث عن الذات التي لا تتحقق الا بالعلم ولا تتجسد الا من خلال المعاني المنبثقة من الكلمات .

- جريء يخوض في مسائل تعد من الطابوهات بلا ادنى حرج او ورع .

- محمد زفزاف اديب وقاص وكاتب روائي , اسهم بشكل مكثف في اثراء النص السردي العربي بخطاب نقدي لاذع , يدين بشدة الاوضاع المتردية في المغرب وسائر البلاد العربية – محمد زفزاف عاشق ولهان يتخيل نفسه في عوالم سارتر وكامو , يجعل شخصياته الروائية تعيش الكبث والقلق والضجر والياس والدوار والغثيان .

- يتهم زفزاف نفسه بارتكاب الجرائم وينصب لها المحاكم في سخرية لاذعة من السلطة واجهزتها القمعية التي تتسبب في خلق المعاناة للفرد ثم تقوم بتجريمه .

- ابطاله ثائرون متمؤدون يتخيلون الحياة سجنا كبيرا وارصفة وجدرانا.

- محمد زفزاف ياذن لشخصياته بالانغماس في عالم الانحلال ويرى انها تعبر عن شرائح موجودة في المجتمع , لا يحق لاي كان نكران وجودها .

- ينظر الى المراة على انها شريك اجتماعي لا يمكن العيش بدونه .

- و الحرية في روايات محمد زفزاف تستوي جوهرا يسجل مطلبه بإلحاح على لسان شخصياته وإطارا عاما يتحرك بموجبه ابطاله . انها شخصيات تنشد الحرية وتناضل من اجل الخلاص والإفلات من عوالم بات العيش فيها صراعا مريرا , بل جحيما وسجنا يتفنن في صنعه الآخرون . وتتحول حياتهم في ظل هذا الصراع الى كوابيس مزعجة وعبث ولا معقول ينتهي بهز فزاف احيانا الى ان ينصب لنفسه محكمة تصدر ضده حكم التجريم .

- "محمد زفزاف" واقعي ملتزم , يستلهم موضوعاته من قضايا المجتمع ووقائعه اليومية وينسج نصوص كتاباته الروائية من جدلية الصراع المحتدم بين طبقات المجتمع ذات الحظوظ المتباينة والفرص المتفاوتة . وهذه البيئة التي يستمد منها "محمد زفزاف" مادته التي تؤلف نسيج نصوصه الفنية تعينه على البحث في اعماق المجتمع عن قضايا الانسان , وعن خلجات النفس , وخفقات الروح وهو يبحث في لهفة عن الاخلاق النبيلة والخلال السامية , ويمارس بكل حرية ثقافة المبدع المتحضر , الحر الرافض لكل اشكال القمع والتسلط , وينشد الديمقراطية الحقة والعدالة والمساواة في مملكة تمجد الدين وتشيد بالاخلاق وتكرم الانسان .

- يتسم اسلوب "محمد زفزاف" في الكتابة الروائية بالشفافية التامة الهادفة الى الكشف والتعرية للفشل والهزيمة والإخفاق في اسلوب جميل ساحر وأخاذ , يستمد رونقه الفني من بساطته التي يدبج بها متنه السردي .وهو على غرار كثير ممن عاصروه , تشيع في فنه

القصصي ملامح الانسيابية والغزارة والخصوبة والتدفق في المعاني مما يدل دلالة واضحة على التمرس في الابداع والإبحار في عالم التجارب بشكل ثري .

- "محمد زفزاف" يمزج بطريقة طريفة بين الواقع والخيال ويستلهم من التراث الحكائي , ويستمد من البعد الاسطوري على غرار النموذج اليوناني والنزوع الفكري الفلسفي والحس الواقعي الوجودي في اخلاصه والتزامه , وهو بهذا يستوي معلما بارزا من معالم الرواية على الصعيد المغاربي وعلى مستوى الوطن العربي , وهو ايضا حلقة لامعة في سلسلة العشاق الذين فتنهم السرد واغرتهم كتابة الرواية واستهوتهم السيرة .

- "محمد زفزاف" هو احد رموز الادب الذين غدوا السرد المغربي الحديث والمعاصر بأشكال وصور من الكتابة في الفن القصصي والروائي على وفق ما كانت تستدعيه المرحلة من مشاهد يومية في مجتمعات يسود فيها التذبذب والاضطراب في السياسة والأدب والفن على حد سواء .

- ان قصص وروايات "محمد زفزاف" ترصد واقع المغرب وتغوص في اعماق المجتمع بأدق تفاصيله بحس المدرك الواعي الحالم والطامع , والرافض للانكسار والهزيمة والمتطلع للتفوق والانتصار .

- وهو فنان يصور بأسلوبه من المشهد اليومي سيرة شخصيات عادية مألوفة تفصح في منتهى الصدق والصراحة عن مشاعرها رغم ما تعانيه من حرمان , وما تكابده من آلام . انها شخصيات ترفض بكل جرأة اشكال الزيف والاحتيال والمراوغة والمداهنة . انها شخصيات تبحث في هموم النفس , ومصير الانسان , وحتمية القدر , والشعور بالقلق والضياع وتتغذى باحتمال تحقيق الحلم رغم القهر وترى في الامل سبيلا للخلاص .

- تجربة الغثيان لجان بول سارتر ماثلة امام زفزاف الذي يكرس من خلال شخصياته حوارا يشيع مفاهيم الضياع والدوار والغثيان واللاجدوى والعدم .

المراجـــــــــع

1- جان بول سارتر ,"الوجودية" ,تقديم د/ كمال الحاج , منشورات دار مكتبة الحياة . بيروت 1978 .

2 جان بول سارتر , - "ما الأدب ؟" , ترجمة وتقديم وتعليق د/ محمد غنيمي هلال دار نهضة مصر للطبع والنشر – الفجالة القاهرة .

3- جان بول سارتر , "دفاع عن المثقفين" , ترجمة جورج طرابيشي , منشورات دار الآداب , بيروت ط 1 – 1973 .

4- د/ خليل احمد خليل السارترية , تهافت الأخلاق والسياسة .

5- قاسم حسين صالح , "الإنسان من هو ؟" الجمهورية العراقية , منشورات وزارة الثقافة والإعلام .

6- د/ محمد مندور , "الأدب ومذاهبه" , مكتبة نهضة مصر ومطبعتها , مصر الفجالة .

7- د/ محمد مندور , "الأدب وفنونه" , دار نهضة مصر للطباعة والنشر ,فجالة القاهرة.1974.

8-' د/ محمد الباردي , "الرواية العربية والحداثة" ج 1 ط 1 – 1993 دار الحوار للنشر والتوزيع , اللاذقية , سوريا .

9- د/ عبد الله إبراهيم "السردية العربية ", بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي ط1 – 1992 المركز الثقافي العربي .

10- أعمال ومناقشات لقاء الروائيين العرب والفرنسيين "الإبداع الروائي اليوم" مارس 1988 , معهد العالم العربي IMA باريس ط1 – 1994 . دار الحوار للنشر والتوزيع , اللاذقية سوريا .

11- سعيد يقطين ,"تحليل الخطاب الروائي" , المركز الثقافي العربي ط2 – 1993 بيروت

12- د/ علي نجيب إبراهيم , "جماليات الرواية" , دراسة في الرواية الواقعية السورية المعاصرة , دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع , دمشق 1994 .

13- , د/ واسيني لعرج ,"اتجاهات الرواية العربية في الجزائر", المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1986 .

14- د/ واسيني لعرج ,"الطاهر وطار تجربة الكتابة الواقعية ", الرواية نموذجا , دراسة نقدية المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر 1989 .

15- د/ محمد مصايف "الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام" الشركة الوطنية للنشر والتوزيع , 1983 .

16- نبيل سليمان , "فتنة السرد والنقد" , دار الحوار للنشر والتوزيع اللاذقية , سوريا .

17- د/ حسام الخطيب ,"سبل المؤثرات الأجنبية وأشكالها في القصة السورية الحديثة" , معهد البحوث والدراسات العربية 1993 .

18- ماري مادلين دافي "معرفة الذات" , ترجمة نسيم نصر , منشورات عويدات بيروت باريس ط2 – 1980 .

19- في الرواية العربية , البناء الفني وحركة الواقع الاجتماعي , الطريق , العدد 3 , 4 عدد خاص 1981 .

20- عبد الرحمن بدوي ,"دراسات في الفلسفة الوجودية" , دار الثقافة بيروت , لبنان ط3 – 1973 .

21- د/ سيد البحراوي ,"البحث عن المنهج في النقد العربي الحديث" , دار شرقيات للنشر والتوزيع , القاهرة ط الأولى 1993.

22- د/ زكريا إبراهيم ," مشكلة الفلسفة ", مكتبة مصر الفجالة .

23- د/ عبد الواحد لؤلؤة ,"النفخ في الرماد" , دراسات نقدية , الجمهورية العراقية , وزارة الثقافة والإعلام , دار الرشيد للنشر 1981 .

24- ويلبريس سكوت ," خمسة مداخل إلى النقد ", ترجمة د/ عناد غزوان , دار الرشيد للنشر 1981.

25- د/ داود سلوم ,"مقالات في تاريخ النقد العربي" , دار الرشيد للنشر بغداد 1981 .

26- فاروق خورشيد دار العودة ," في الرواية العربية ", بيروت , 1979.

27- جورج سالم ," المغامرة الروائية ", منشورات اتحاد الكتاب العرب , دمشق , 1973 .

28- د/ عبد الرحمن ياغي ,"الجهود الروائية ", دار العودة , دار الثقافة . 1973

29- عبد المحسن طه بدر ," تطور الرواية العربية في مصر" , دار المعارف , 1963

30- د/ عمر الطالب ,"الرواية العربية في العراق" , مكتبة الأندلس , 1971.

31- جورج لوكا تش "الرواية كملحمة بورجوازية" , ترجمة جورج طرابيشي , دار الطليعة .

32- د/ كمال غيد ,"فلسفة الادب والفن" , منشورات الدار العربية للكتاب , ليبيا / تونس , 1978 .

33- نبيل سليمان ,"وعي الذات والعالم" , دار الحوار , اللاذقية , 1985 .

34- منشورات الاغتراب الأدبي , لندن , 1990 .

35- رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان , دار الطليعة بيروت , 1992.

36- حنا مينه ," حوارات وأحاديث في الحياة والكتابة الروائية ", دار الفكر الجديد , بيروت , 1992 .

37- اتحاد الكتاب العرب "مدخل إلى نظرية الرواية" , 1989 .

38- نبيلة إبراهيم ," نقد الرواية من وجهة نظر الدراسات اللغوية ", النادي الأدبي , الرياض , 1980 .

39- تأليف جورج ازوط "سهيل إدريس في قصصه ومواقفه" , دار الآداب.

ط 1 .1989 .

40- د/ ماجدة حمود " مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن" – منشورات اتحاد الكتاب العرب سنة 2000 .

41- د/ نجم عبد الله كاظم ,"في الأدب المقارن" , دار أسامة للنشر والتوزيع – الأردن عمان , ط1 , 2001.

42- سعيد علوش ,"مدارس الأدب المقارن" , دراسة منهجية , المركز الثقافي العربي , ط1 – 1987 .

43- د/ محمد التو نجي "الآداب المقارنة"– دار الجيل بيروت , ط1 -1995

44- د/ الطاهر احمد مكي ,"الأدب المقارن ,أصوله , تطوره ومناهجه" –دار المعارف ط3 -1987 .

45- تأليف د/ محمد غنيمي هلال ,"الأدب المقارن ", دار العودة ودار الثقافة , بيروت لبنان ط 3 – 1962 .

46- د/ محمد غنيمي هلال ,"الموقف الأدبي" دار الثقافة ودار العودة بيروت- لبنان - 1977 .

47- د/ جهاد عطا نعيسة "في مشكلات السرد الروائي" , منشورات اتحاد الكتاب العرب , دمشق 2001 .

48- د/ عمر الدقاق , "فنون الأدب المعاصر في سوريا" - دار الشرق العربي .بيروت

49- د/ صلاح صالح ,"الرواية العربية والصحراء ", منشورات وزارة الثقافة . دمشق 1996 .

50- د/ نبيل سليمان ," جماليات وشواغل روائية ", منشورات اتحاد الكتاب العرب , دمشق 2003 .

51- د/ يوسف حطيني ,"مكونات السرد في الرواية الفلسطينية" , منشورات اتحاد الكتاب العرب سنة 1999 .

52- ترجمة أنور سميا ,"رواية الطاعون لألبير كامو" , منشورات دار مكتبة الحياة , بيروت لبنان 1982 .

53- غادة السمان "رواية بيروت 75 " , بيروت لبنان , ط 6 – 1993 .

54- د/ سمر روحي الفيصل "معجم الروائيين العرب" , ط 1 -1995 -طرابلس- لبنان

55- د/ عبد الملك مرتاض , "القصة في الأدب العربي القديم" دار ومكتبة الشركة الجزائرية ط 1 – 1968 .

56- محمد نور الدين افايه "المتخيل والتواصل مفارقات العرب والغرب" , دار المنتخب العربي , بيروت لبنان ط1 -1993 .

57- مرزاق بقطاش ,"الكتابة قفزة في الظلام ", المؤسسة الوطنية للكتاب ,الجزائر – 1986 .

58- احمد سيد محمد , " الرواية الانسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب" , المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر – 1989 .

59- ترجمة : د/ محمد يونس ,"فن الأدب الروائي عند تولستوي – ف . غ . ادينوكوف "– منشورات وزارة الثقافة والإعلام , دار الرشيد للنشر –بغداد 1981 .

60- تأليف عبد العزيز شبيل ,"الفن الروائي عند غادة السمان" دار المعارف للطباعة والنشر . سوسة تونس /1987 .

61- فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة , د/ صفاء خلوصي ,دار الرشيد للنشر , بغداد/1982 .

62- د/ نبيل راغب , "موسوعة الفكر الأدبي الجزء الأول و الثاني" , الهيئة المصرية العامة للكتاب /1988 .

63- سيجمند فرويد "الأنا والهو" ترجمة عثمان نجاتي , ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر – ط 4 / 1998 .

64- د/ عبد السلام المسدي "مراجع النقد الحديث". الدار العربية للكتاب .تونس/.1989

65- رولان بارت "مدخل الى التحليل البنيوي للقصص",ترجمة د/ منذر عياشي ,ط 2 – حلب سوريا /2002 .

66- رولان بارت , "الكتابة في درجة الصفر" , ترجمة د/ محمد نديم خشفة ط 1 – حلب سوريا /2002 .

67- رولان بارت ," لذة النص ", ترجمة د/ منذر عياشي ,ط 2 – حلب سوريا / 2002 .

68- تأليف ميشيل فوكو "حوارات ونصوص" – جاك دريدا ترجمة محمد ميلاد دار الحوار اللاذقية سوريا ط 1 /2006 .

69- تأليف لوسيان غولدمان "تأصيل النص" ترجمة د/ محمد نديم خشفة مركز الإنماء الحضري – حلب سوريا /ط 1997/1 .

70- د/ عبد السلام المسدي "الأسلوبية والأسلوب نحو بديل السني في نقد الأدب" الدار العربية للكتاب في ليبيا وتونس . 1977 .

71- د/ محمد طرشونة "مدخل إلى الأدب المقارن وتطبيقه على ألف ليلة وليلة " مؤسسة باباي ط 3 /تونس / 1997 .

72- د/ نضال الصالح "النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة" منشورات اتحاد الكتاب العرب سوريا /2001 .

73- تأليف رينيه ويليك "نظرية الأدب" – اوستن وارين ترجمة محي الدين صبحي المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت /ط 2 /1981 .

74- تأليف رالف ئي ماتلو" تولستوي ترجمة نجيب المانع ".دار الحرية للطباعة بغداد/1980 .

75- د/ عبد الملك مرتاض "في نظرية الرواية" , بحث في تقنيات السرد سلسلة عالو المعرفة .الكويت /1998 .

76- محمود امين العالم , يمنى العيد , نبيل سليمان "الرواية العربية بين الواقع والإيديولوجية" – دار الحوار للنشر والتوزيع . سوريا /اللاذقية ط1 /1986 .

77- د/ محمود الربيعي"قراءة الرواية" – دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة .

78- د/ سهيل إدريس "في معترك القومية والحرية" - دار الآداب بيروت ط1 1977 .

79- تأليف ستيفن اولمان "دور الكلمة في اللغة" ترجمة كمال محمد بشير مكتبة الشباب ط3 /1972 .

80- د/ حلمي مرزوق "مقدمة في دراسة الأدب الحديث" دار النهضة العربية بيروت 1980 .

81- غادة السمان "ليل الغرباء لغادة السمان" ط9 /1995 .

82- ارثر لوفجوي "سلسلة الوجود الكبرى" , ترجمة د/ ماجد فخري دار الكتاب العربي بيروت – نيويورك .

83- محمد كامل الخطيب , عبد الرزاق عيد ,"عالم حنا مينه الروائي" دار الآداب بيروت –ط1 /1979 .

84- د/ غسان السيد "الحرية الوجودية بين الفكر والواقع" دار الرحاب ط2 /2001 .

85- د/ حسام الخطيب "روايات تحت المجهر" منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق 1983 .

86- د/ بثينة شعبان "100 عام من الرواية النسائية العربية" ط1/دار الآداب بيروت/1999 .

87- د/ محمود إبراهيم الأطرش "اتجاهات القصة في سوريا بعد الحرب العالمية الثانية" دار السؤال دمشق /1982 .

88- الشاذلي الساكر "ما فلسفة الجسد ؟" ط1 /1994 مؤسسة ابو وجدان للطبع والنشر والتوزيع تونس .

89- صدوق نور الدين "البداية في النص الروائي" ط1 /1994 اللاذقية-سوريا

90- غادة السمان "كوابيس بيروت" , ط8 /2000 .

91- محمد رياض وتار ," شخصية المثقف في الرواية العربية السورية" منشورات اتحاد الكتاب العرب سنة 2000 .

92- د/ نبيل راغب "معالم الأدب العالمي المعاصر" سلسلة اقرأ – افريل 1978 .

93- د/ علي جواد الطاهر "الخلاصة في مذاهب الأدب الغربي" منشورات دار الجاحظ للنشر بغداد /1983 .

94- تأليف باولا دي كابوا "التمرد والالتزام في أدب غادة السمان" ترجمة نورا السمان وينكل , دار الطليعة بيروت ط1 /1992 .

95- تأليف جورج لوكاتش "الرواية" ترجمة مرزاق بقطاش الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر .

96- تأليف راكز احمد "الرواية بين النظرية والتطبيق" ط1 /1995 .اللاذقية سوريا دار الحوار للنشر والتوزيع .

97- سهيل الشملي "البطل في ثلاثية سهيل إدريس" دار الآداب ط1 /1998

98- تأليف عامر الدبك "الإبداع في دائرة الضوء" – أوهام العبد الله ط1 /1996 –دار الحوار للنشر والتوزيع اللاذقية سوريا .

99- برنار فاليت "الرواية " ترجمة عبد الحميد بورايو دار الحكمة الجزائر 2002 .

100- سعاد حرب "الأنا والأخر والجماعة" دراسة في فلسفة سارتر ومسرحه , ,دار المنتخب العربي بيروت – لبنان ط1 /1994 .

101- خيفياف روديس لويس "ديكارت والعقلانية" ترجمة عبده الحلو ط2 / أكتوبر 1977 دار منشورات عويدات بيروت لبنان .

102- تأليف جان فال "الفلسفة الغربية من ديكارت إلى سارتر" ترجمة الأب مارون خوري منشورات عويدات بيروت –باريس ط3 /1982

103- تأليف د/ محمد غنيمي هلال "قضايا معاصرة في الأدب والنقد" دار نهضة مصر للطبع والنشر الفجالة القاهرة .

المجلات :

01- مجلة المعرفة , "الرواية السورية" , العدد 146 افريل 1974 , وزارة الثقافة والإرشاد القومي .

02- مجلة الآداب , العدد 2 , 3 مارس 1980 عدد خاص يضم مواد ملتقى الرواية العربية الجديدة , تنظيم اتحاد كتاب المغرب .

03- النقد الأدبي العربي الحديث مشكلاته وآفاقه , ندوة صفاقص , جويلية 1993

04- مجلة اللغة الاتصال – العدد 6 مارس 2010 – جامعة وهران – الجزائر .

05- مجلة اللغة والاتصال العدد 10 ماي 2007 – جامعة وهران – الجزائر

06- مجلة نوافذ تعنى بترجمة الأدب العالمي العدد 7 المملكة العربية السعودية / فبراير 1999 .

07- مجلة الثقافة الأجنبية مجلة فصلية إصدار دار الجاحظ للنشر بغداد العدد الأول السنة الثانية 1982 .

08- مجلة الثقافة الأجنبية العدد الثالث السنة الثانية 1982 .

09- مجلة الموقف الأدبي اتحاد الكتاب العرب دمشق العدد 361 أيار 2001

10- مجلة الموقف الأدبي اتحاد الكتاب العرب دمشق العدد 379 تشرين الثاني 2002 .

المراجع بالفرنسية

1 - La femme dans la littérature existentielle ,

Hélène Nahas , presses universitaires de France , Paris , 1957 .

2 -Le Roman depuis la révolution.

Michel Raimond, Edition Armand Colin, Paris 1981.

3 -Albert Camus, « Souvenirs ».jean Grenier,

Editions Gallimar, 1968.

4 - L’Etranger,

Albert Camus, Editions Gallimard, 1957.

5 -Humain Universel, philosophie esthétique,

Nabhani Koribaa, Entreprise nationale du livre Alger,1989.

6 -Littérature du XX siècle et Christianisme,

Tome 1 , Silence de Dieu , Casterman , 1967 .

7 -Littérature du XX siècle et Christianisme,

Tome 2 , La Foi en jésus Crist, Casterman , 1967 .

8 -Littérature du XX siècle et Christianisme,

Tome 3 , Espoir des hommes , Casterman , 1965 .

9 - La femme dans la littérature existentielle ,

Hélène Nahas , presses universitaires de France , Paris , 1957 .

Les chemins de la liberté :

10 -Le sursis , jean , Paul Sartre .

Le livre de poche , librairie Gallimard . 1945 .

11 -L'âge de raison , jean Paul Sartre .

12 -La mort dans l'âme , jean Paul Sartre .

13 -La révolution française mythes et interprétations

(1789-1970) ,Alice Gérard .Flammarion – France 1970.

14 -Le procès , Kafka, Edition Folio , imprimé en France 1975.

15 -Huis Clos , Les mouches, jean Paul sartre, livre de poche

imprimé a paris France 1964 .

16 -Le mal de l'âme , DENIS BOMBARDIER – CLAUDE SAINT – LAURENT , Edition robert Laffont imprimé en France 1989 .

17 -Les romancières coloniales et la femme colonisée , Sakina

MESSAADI , Entreprise national du livre ,Algérie 1989 .

18 -L'image littéraire , François moreau , paris 1982.

19 -La vie Parisienne Sous L'occupation, Hervé le boterf ,

édition France. Empire , paris 1974.

Revues

1 - Nouvelle critique , Revue éditée par le P.C.F.N°112 Janvier .

(Axe consacré pour la littérature Algérienne) Paris 1960.

Résumé de la thèse

Cette thèse intitulée « L'existentialisme dans le roman arabe contemporain . »Se propose d'étudier l'existentialisme : entant que philosophie occidentale, plutôt, dans sa forme française qui a germé dans les esprits d'un certain nombre de personnalités intellectuelles françaises.tel que j.p Sartre , Albert camus , Simone de Beauvoir et bien d'autres .

Cette philosophie a poussé ses racines, a commencé a régner en France, juste à la fin de la seconde guère mondiale et a connu en si peu de temps sa pleine expansion et son plein épanouissement.

Jean Paul Sartre qui a mis en place les piliers de cette doctrine en se basant sur la philosophie de martin heidjer a cherché également devant la situation

critique qu'a vécu l'homme durant la seconde guère mondiale a marquer son vif appel a l'instauration d'un nouveau mode de vie en commençant par tout revoir dans l'histoire de l'homme le patrimoine universel hérité , revoir les valeurs accumulées au fil du temps .

Ces valeurs qui ne font qu'alourdir l'homme sans lui apporter le moindre intérêt .

car la philosophie, les traitres les religions ce sont restées paralysés et n'ont pu rien faire pour protéger l'homme et lui garantir sa sécurité , pour lui respecter sa liberté et son droit a la vie librement et en paix .

en si peu de temps, cette philosophie a retrouvé pleinement sa place dans la littérature français. Ses idées n'ont cessé de jaillir dans les œuvres de jean Paul Sartre. et a travers de les différents genres littéraires

livre théoriques, pièces théâtrales romans et études dans ce domaine, chez Sartre et ses allées Simone de Beauvoir et Albert camus. Ont bien approfondi leurs recherches dans ce domaine philosophique si récent.

ces œuvres ont soulevé les principaux problèmes de l'existence de l'être humain en se posant la question qui reste sons réponse selon les existentialistes autour de l'utilité de ce qu'on appelle valeur si tant appréciées et apprises par cœur , dans le patrimoine universelle dans ses multiformes philosophiques , culturelles morales , littéraires et religieuses .

nous avons essayé de savoir comment cette philosophie et ses principes résumées en trois point essentiels liberté, responsabilité, et engagement ont. pu trouver chez les littéraires arabes , orientaux a travers leurs écritures romanes que et bien d'autres œuvres

littéraires tout a fait comme les existentialistes de l’occident .

notre but est donc de savoir quels sont les chemins parcourus par cette philosophie durant son passage de l’occident pour se retrouver en orient dans un environnement qui ne favorise pas d’ailleurs par ses traditions culturelles, moral, religion coutumes car si l’occident a connu ces bouleversements , ces transformation ,ce changement radical dans les esprits, l’orient n’a guère connu ces conditions qui favorisent ce genre de révolution , dans les esprits vis-à-vis des concepts tant apprécies cette excursion a travers l’écriture romanesque de suheil Idris a travers sa fameuse trilogie nommée consécutivement

le quartier latin

le trancher profond

nos doigts qui brulent

en fin nous avons posé la question suivante : jusqu’a

quel point la littérature existentielle a influencé ces écrivains . cette culture a-t-elle pu s’implanter profondément et germer telle que connus et conçue dans les romans de jean Paul Sartre dans sa trilogie

les chemins de la liberté : le sursis , la mort dans l'âme , l'âge de raison et aussi chez Simone de Beauvoir et Albert camus

ex : (l'étranger)

la matière de la thèse a été diffusé sur sept chapitres.

Chapitre 1

ce chapitre a été consacré pour l'étude de jean Paul Sartre .

chapitre 2

Albert camus.

Chapitre 3

(le roman arabe contemporain)

c'est une partie de la thèse qui se consacré a la recherche dans le roman arabe contemporain a travers ses différents phases de puis sa naissance , son évolution jusqu'au point ou il a atteint son âge de maturité technique .

nous étions convaincus que le roman du sham a atteint en quelque décennies sa phase de maturité qui se marque par un certain nombre de caractéristique technique qui ne diffère de ceux de son homologue dans les autre pays arabes .

Résumé de la thèse

chapitre4

le brillant littéraire suhail Idris est héberge depuis sa naissance et ses différents phases d'apprentissage d'éducation étude formation dans un environnement un peu spécial

nous avons aborde le premier roman de la trilogie de suhail idris.intitule «le quartier latin ».en le présentant par une fiche technique du livre tout en insistant sur la démonstration des couvertures de part et d' autre cette procédure a pour but d'âpres notre point de vue de déplacer le lecteur et le mettre dans le climat de L'occident. La 2eme face du livre héberge un certain nombre de points de vue critiques sur la valeur artistique du livre dans la littérature existentielle.

nous sommes passes en suite a une lecture analytique du roman durant cette lecture nous avons cible les traces qu'a laissée la philosophie existentielle dans l'écriture d' un littéraire arabe héberge en tant que étudiant et intellectuel, dans un quartier latin a paris prés de l'université de la Sorbonne

ce chapitre a été consacre a l' étude du 2eme roman dans la trilogie intitule « le profond trancher » c'est un roman qui rentre dans l' autobiographie .il décrit d' une manière trés lucide ce genre de conflits entre 2 générations celle des parents avec leurs anciennes coutumes, les anciennes habitudes et les anciennes façons de penser

et de vivre ,nous avons marque chez suhail cette position flagrante qui démontre son refus et éclaircie sa position envers ce patrimoine de nature orientale.

Nous avons marque son expression sa volonté de fuir a cette réalité et a cette formation religieuse dans l' institut durant son enfance . il s' est exprime et a pris

Chapitre 5

ce même type d'entretient nous a conduit a' l'Egypte ou nous avons rencontré un grand littéraire arabe romancier et philosophe .d'ailleurs il est considéré chez les arabes , le seul et l'unique en son genre .

son autobiographie nous a conduit a suivre d'une manière tres implicite et explicite a toucher pleinement les sentiment d'un grand écrivain qui a le courage de tout dire et de la manière la plus significative ses sentiments , ses tendances , ses aventures et même ses propres secrets les plus profonds .

Abderrahmane badaoui ne cesse de le dire en toute franchise et sincérité qu'il considéré , la philosophie existentielle entant que sa propre idéologie il nous démontre a travers ce concept et cette doctrine toute les traces qui l'ont guidé a devenir le plus grand philosophe en son ère .

chapitre 6

nous nous somme engages dans ce même type d'études et ce même genre de procédures avec le fameux romancier tunisien Mahmoud

el massadi dans le « barrage » .

chapitre 7

nous avons rencontré le grand romancier Mohamed zefzef , nous avons pris la peine de chercher dans ses deux romans « la femme et la rose « et aussi « trottoirs et murs » les traces qui démontrent la philosophie existentielle qui ont été pleinement signalées telles que connues chez Sartre et les autres .

position envers cette situation en renonçant a cette vie

il avait cet esprit rebelle .il voulait se déterminer chez lui a la maison devant sa famille et ses proches come a l' école devant ses amis .par cet esprit qui tend vers la liberté.

الفهرس